العُمْرَةُ والرِحْلَةُ الإيمَانَيّةُ

تأليف
عادل بن عبد العزيز الجهني

الطبعة الأولى
١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م

ح

عادل الجهني، ١٤٤٦ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجهني، عادل عبد العزيز أحمد

العمرة والرحلة الإيمانية

عادل عبد العزيز أحمد الجهني، أملج، ١٤٤٦ هـ

ط١ ، ١٧ × ٢٤ سم

رقم الإيداع: ١٤٤٦/٥٠١٧

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٥-٤٢٠٧-٩

رقم الإيداع: ١٤٤٦/٥٠١٧

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٥-٤٢٠٧-٩

الطبعة الأولى

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤م

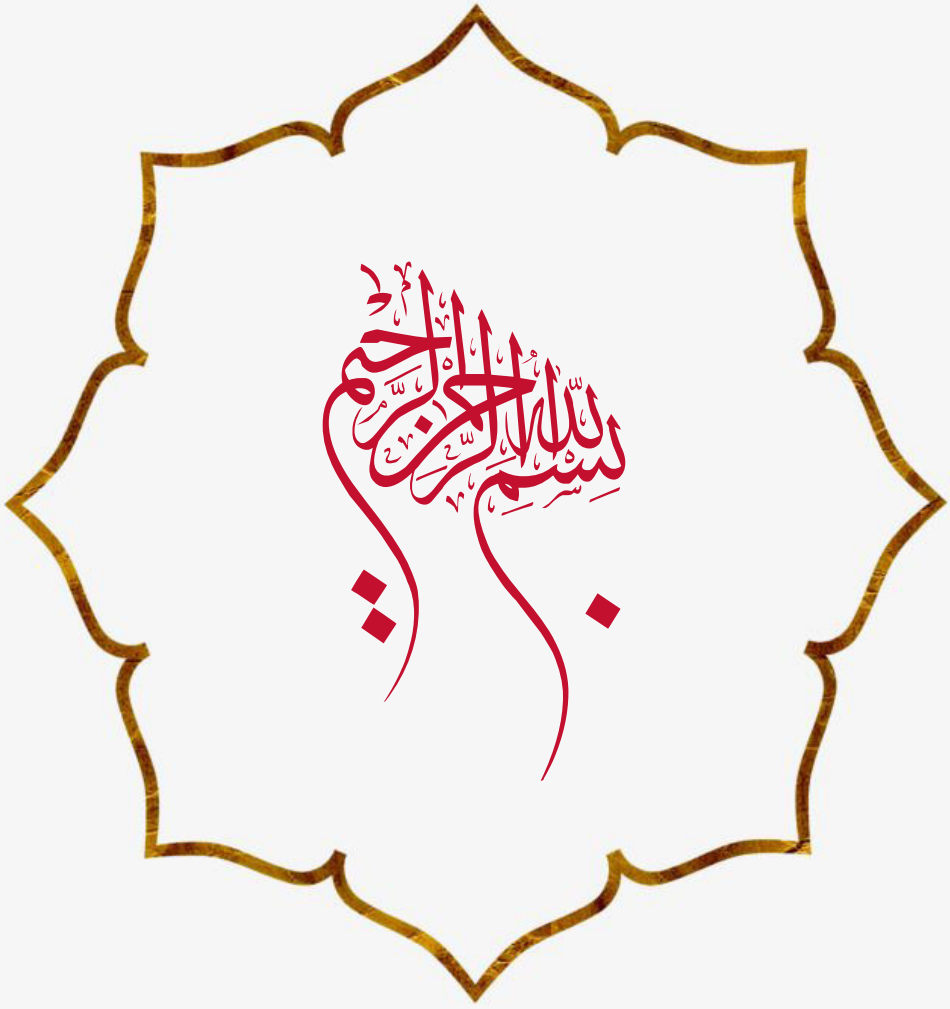
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة

الحمدُ لله الذي أكرَمَنا بمعرفَـةِ أحكامِهِ، ودلّنا لسُـبلِ محابِّـهِ وطُرقِ مرضاتِـهِ، وأشـهدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ اللطيفُ الكريمُ، شرَعَ لعبادِهِ شرائِعَ ميسَّرَةً، ورتّـبَ عليهـا أجـورًا مضاعفَـةً، -ومنهـا قَصْـدُ بيتِهِ الحـرامِ للحجِّ والعمرة-، وصلَّى اللهُ وسـلَّمَ على خيرِ مَنْ طافَ وسـعى، وقـامَ بعبادِةِ ربِّهِ علَى الوجـهِ المرتَضَى، فـكانَ دليـلًا للعابِدين، وقدوةً للسالكين.

وبعدُ/

فإنّ شـرائعَ الإسـلامِ كاملـةٌ، وأحكامَـهُ لا مثيلَ لها؛ شـرعَهَا اللهُ لصلاحِ القلـوبِ، وهدايَةِ النفوسِ، واسـتقامَةِ السـلوك، وسـبيلُ الوصـولِ إلـى ذلك: **إخلاصُ العمل فيها للهِ، وإتقانُها وأداؤُهَا علَى أحسَنِ حَالٍ؛** فالعبَاداتُ إذا مَا أدَّاهَا العبدُ كما أمرَهُ اللهُ متقَنةً، يبتغِي بها وجهَهُ، آتت ثمارَها، وصارَ لهَا أثرُها الكبيرُ علَى صاحبِهَا، فملاحظَةُ هذا الجانِبِ ممّا ينبغِي علَى العابـدِ العنايةُ بهِ ورعايتُهُ، ولا يُوفَّقُ لهُ إلا مَنِ اهتدَى وأُعِينَ، وعظَّمَ شعائِرَ ربهِ المتِين، وأوتِيَ حظًا ونصيبًا مِنَ العِلْمِ الشرْعِيِّ المكِين.

أمّـا أدَاءُ العبادَةِ دونَ النظَرِ إلَى الحِكَمِ منْهَا، وفِي حـالِ غفلةٍ مِنْ صاحبِهَا فإنّـه يجعَلُهَا جوفَاءَ لا روحَ فيهَـا، ولا يَجدُ فيهـا العابدُ اللذَّةَ والراحَـةَ والأُنْسَ، وفي أحيانٍ كثيرَةٍ يكونُ أثرُهَا ضعيفًا عليهِ.

فلِذا كانَ التذكيرُ بأدَاءِ العبَادَاتِ -بدرايةٍ ورعايةٍ- حتْمًـا لازمًا لينتفعَ بها صاحِبُها الانتفَاعَ المرجُوَّ منها -بإذنِ اللهِ تعالَى- ومِـنَ العبَادَاتِ التِي ينبَغِي العِنَايَةُ بِهَا: عبادةُ العُمْرةِ.

وهـي عبادةٌ قد كَثُـرَ المُؤَدُّون لهـا في زمانِنَا هذا، وصارتْ ظاهِـرَةً للعَيَانِ، وهَذَا الأمرُ مُبشّـرٌ بالخيرِ، ومُفْرِحٌ للنفوسِ المؤمِنَةِ، وفيهِ منافِعُ كثيرَةٌ لمَنْ وُفِّقَ لَهُ.

(والعُمرةُ) هِيَ: (الحجُّ الأصغرُ) كما جاءَ في كِتَابِ عمرو بنِ حزْمٍ، الذي رواه البيهَقِيُّ في سُنَنِهِ، وتَلَقَّاهُ أهْلُ العلْمِ بالقَبُولِ.

ويشترِكُ الحَجُّ والعُمْرةُ في بعضِ الأعمَالِ مِنَ: (الإحرَامِ والطوافِ والسعْيِ والحَلْق)، قالَ ابنُ حجَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (والعمرَةُ تُشبهُ الحَجَّ فِي أعمَالٍ كثيرَةٍ).

وفيهَا فضائِلُ يغفلُ عنهَا الكثيرُ، ويجهلُهَا جمٌّ غفيرٌ مِنَ المسلمِينَ، وتلتَحِقُ بهَا عباداتٌ كثيرةٌ ذاتُ فضلٍ ظاهِرٍ -كمَا سيأتِي معنا- فأحببتُ في هذهِ الوَرَقَاتِ الترغيبَ فيهَا، وذِكْرَ فضائِلِهَا، والحَثَّ علَى أدائِهَا علَى أكمَلِ وجْهٍ، والتحذيرَ مِنَ الغفلَةِ عندَ فعلِهَا، والحذَرَ منْ كلِّ خلَلٍ يُنقِصُ أجرَهَا، وبيانَ بعضِ

مَـا هُوَ متعلّقٌ بهـا مِمَّا تراهُ مسَـطَّرًا بين يديـكِ، وقَدْ جعلتُهَا فِي عشرِ وقَفَاتٍ، وَهِيَ كالتالي:

- المقاصِدُ الشرعِيَّةُ لِعبادةِ العُمْرَةِ.
- مكةُ البَلَدُ الحَرَامُ، والذكرياتُ الخَالِدَةُ.
- فَضَائِلُ العُمْرَة.
- عُمْرةٌ بقلبٍ حاضِرٍ.
- عبادَاتٌ مُتْصِلَةٌ بالعُمْرَةِ.
- العُمْرَةُ وسيْرُ القلوبِ.
- العُمرَةُ وطريقُ التَّوْبَةِ.
- العُمرَةُ وزيادَةُ الايمَانِ.
- رحلةُ العُمْرةِ مغايِرَةٌ لسائِرِ الرحَلَات.
- بينَ الإكْثَارِ مِنَ العُمْرةِ والزُّهْدِ فيهَا.

وهوَ جهْدُ المُقِلِّ، فمَا أصبْتُ فيهِ فَمِنَ اللهِ وَحده، -ولَـهُ الفضْـلُ كلُّه- ومَـا أخطَـأْتُ فيهِ فَمِنْ نفسِـي والشيطَانِ، واللهَ أسألُ أنْ ينفَعَ بِهَا، ويجعَلَها خالِصَةً لوجهِهِ الكريمِ.

كتبهُ مِنْ جِوَارِ الكعْبَةِ المُشَرّفَةِ/

عادل بن عبدالعزيز بن أحمد الجُهني

بتاريخ ١٨ / ١ / ١٤٤٦هـ

جوال ٠٠٩٦٦٥٠٤٣٩٢٢٦٠

❋❋❋

المقاصدُ الشرعِيّةُ لِعبادةِ العُمْرَةِ

شَـرَعَ اللهُ العبـاداتِ -وَمِنْهَـا عِبـادةُ العُمْـرَةِ- لمقاصِـدَ عظيمَـةٍ، وغايـاتٍ نفيسَـةٍ، والعِلْـمُ بهذِهِ المقاصِـدِ يختَلِـفُ إدراكُـهُ ومعرِفَتُـهُ مِنْ شـخْصٍ لآخَـرَ، فكُلَّمَـا كانَ العبْدُ أفْقَهَ في شـرعِ اللهِ عَلِمَ منْ مقاصِدِ العبَادَاتِ مَا لمْ يعلمْهُ الجاهلُ بهَا، وكانَ أثرُ هـذهِ العبادَةِ عليهِ كبيرًا، فلذا كانَ مِنَ الفِقْهِ للمُعتَمِرِ أنْ يتعرَّفَ علَى مقاصِدِهَا ليسـتَحْضِرَهَا عنْدَ أدائِهَا، ولعَلِّي أنْ أذكُرَ -هنا- بعضَ هذِهِ المقَاصِدِ:

* مـن أعظـمِ مقاصِد العُمْرَة: تحقيـقُ توحيدِ اللهِ، وتعظيمُ شعائِرِهِ.

ومظاهرُ التوحيـدِ في العُمْرَةِ كثيرَةٌ، وأوَّلُ مظاهرِهِ فِي التلبيَـةِ، وذلِكَ حينَ يقولُ المُلبِـي: (لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شَـرِيكَ لكَ لَبَّيْـك، إنَّ الحَمْدَ والنِّعْمَةَ لكَ والمُلْكَ، لا شَـرِيكَ لَكَ) فهُوَ لا يقْصِدُ في عُمْرَتِهِ إلا وجْهَ اللهِ.

فإذَا مَا رَأَى الكعبَةَ -وهـيَ رمزُ التوحيدِ فِي إفرَاد اللهِ بالعبَـادَةِ، والتوجُّـهِ إليـهِ وحدَهُ-، فيتذكَّـرُ أنَّ مَنْ بنَاهَا هُوَإمَامُ الموحدِينَ إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأنَّهُ سالكٌ سبيلَهُ، مقتفٍ أثَرَهُ، وأثرَ نبيِّهِ محمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهُوَ أعظمُ مَنْ حقَّقَ التوحيدَ، وكانَ أبعَدَ النّاسِ عَنِ الرِيَاءِ.

ويظهَرُ التوحيدُ فِي عمرَتِـهِ فِي الدَّعَاء وإخلاصِ المسـألَةِ للهِ، وتعَلُّـقِ القلـبِ بهِ، ويظهَرُ فِـي الأذكارِ المتنوِّعَةِ فِي طوافِهِ وسـعيِهِ بالتكْبِيرِ والتهلِيلِ وسائِرِ أنواعِ الذِّكْرِ.

وتعظيمُ شـعائِرِ اللهِ يكونُ بالإحـرَامِ مِنَ الميقَاتِ وعـدَمُ تجـاوُزِهِ إلا وَهُـوَ محْـرِمٌ، وبتعْظِيـمِ الكعبَةِ والطوَافِ بهَا، وبتعظِيمِ عبادَةِ السعْيِ وأدائِهَا كمَا أمَرَ اللهُ، يقولُ الشيخُ ابنُ سعْدِيٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**البيْتُ أعظَمُ مَا فِي الحَرَمِ، والطوافُ مِنْ أهَمِّ أركانِ الحَجِّ والعُمْرَةِ**)

واللهُ خـصَّ بيتَـهُ المُعظَّمَ دونَ سـائِرِ بيوتِ الدنيا بإضَافَتِـهِ إليهِ، فاشْـتَاقَتِ النفوسُ إليهِ علَـى الدوَامِ، يقـولُ ابْـنُ القيّـم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ولَـوْ لـمْ يكنْ لَهُ شـرفٌ**

إلَّا إضافَتُـه إيّـاهُ إلـى نفْسِـهِ بقولِـهِ: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ لكَفَـى بهـذِهِ الإضَافَـةِ فضلًا وشـرفًا، وهذِهِ الإضافَةُ هِيَ التِـي أقبلَتْ بقلوبِ العالَمينَ إليهِ، وسلَبَتْ نفوسَهُمْ حُبًّا لَهُ، وشوقًا إلَى رؤيتِهِ، فَهُوَ المثابَةُ للمحبينَ، يثوبُونَ إليهِ ولَا يقضُونَ منهُ وطَرًا أبَدًا، كلما ازدادوا لَـهُ زيارَةً، ازدادوا لـهُ حُبًّا، وإليهِ اشـتياقًا، فلَا الوصالُ يشفِيهِمْ، ولا البعَادُ يُسْلِيهِمْ كمَا قيلَ:

أطـوفُ بـهِ والنفـسُ بَعْدُ مَشُـوقةٌ

إليـهِ، وهـلْ بعـدَ الطَّـوافِ تَـدَاني

وألثـمُ منـهُ الركـنَ أطلبُ بَـردَ مَا

بقلبـيَ مِـنْ شـوقٍ ومِـن هَيَمَـانِ

فـوَ اللهِ مَـا أزدادُ إلاَّ صَـبَـابَـةً

ولا القلـبُ إلا كثـرةُ الخفَقَـانِ

فيا جنَّـةَ المـأوَى ويا غايَـةَ المُنَى

ويـا منيَتِي مِـنْ دونِ كـلِّ أمـانِ

أبَـتْ غلبَـاتُ الشـوقِ إلا تقرُّبـًا

إلـيـكَ فـمَـالِـي بـالـبِـعـادِ يَـدانِ

دعوتُ اصطباري عنك بعدَكَ والبُكَا

فَلَبّـى البُكَا والصبرُ عنْكَ عَصَانِي)

[بدائع الفوائد:٢/ ٤٦]

* وَمِنَ المَقَاصِدِ العظِيمَةِ للعُمْرَةِ: الاستِجَابَةُ لأمرِ اللهِ -تَعَالَى- الذي أمرَ بإتمامِ الحَجِّ والعمرَةِ لَهُ، قالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] فالحجُّ والعمرةُ يجبُ المضيُّ فيهِمَا، ولا يَجُوزُ قطعُهُمَا -ولَوْ كانَتْ نافِلَةً-، فتفارِقان سائِرَ العبَادَاتِ بهَذَا الحُكْمِ، وهذَا يدُلُّكَ علَى أهميَّتِهِمَا وتميّزِهِمَا عن غيرِهِمَا.

ووردَتْ أحادِيثُ كثيرَةٌ في ذكرِ العُمرَةِ؛ بيانًا لفضلِهَا وترغِيبًا بِهَا، وستَأْتِي معَنَا بإذْنِ اللهِ تعَالَى.

* في العُمْرَةِ: الاستِسْلامُ لأمْرِ الله، والطاعَةُ الكامِلَةُ لَهُ.

فأعمَالُ العُمْرةِ يظْهَرُ فيهَا التسلِيمُ للهِ كشَأْنِ

أعمَـالِ الحَجِّ، حيثُ يطوفُ العبْدُ بالكعبَةِ، ويسـعَى بينَ الصَّفَا والمروَةِ، ويحلِقُ رأسَهُ أو يُقصِّرَهُ دونَ أَنْ تظهَرَ لهُ الحِكْمَةُ مِنْ هذِهِ الأعمَالِ، ولكنْ -بلَا شَكٍّ ولا ريْـبٍ- أنَّ أعظَمَ الحِكَمِ لهـا، هُوَ: امتِثَالُ أمرِ اللهِ، ولَهَـا حِكَمٌ كثيرَةٌ يختَلِفُ النَّـاسُ فِي معْرِفَتِهَا، وَلَعَلَّ منْهَا: الاقتداءُ بالنَّبِـيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتِّباعُ هدْيِهِ، ومَا يكونُ مِنْ زيادَةِ الإيمَانِ، وحصُولُ الطمَأنينَةِ والسكينَةِ عند أدائِهَا -خصوصًا إذا أُدِّيَتْ على أحسـنِ وجه -، ومِـنَ الحِكَمِ والمنَافِعِ مغفِرَةُ الذنُوبِ، والسـلامَةُ مِنَ الفقْـرِ بالمداوَمَـةِ عليهَـا، وَمِنْهَا: زيـادةُ تعظِيمِ اللهِ في القلـبِ -وَهُـوَ مِنَ الحِكَمِ النفيسَـةِ- وغيـرُ ذلكَ مِنَ الحِكَمِ التِي لا حدَّ لها، فأَحكامُ الشـريعَةِ لَهَا غايَاتٌ ومنَافِعُ لأنَّها منْ لدُنْ حكيمٍ خبيرٍ.

* ومنْ مقاصِدِ العُمْـرةِ -كمَا هِيَ مقاصِدُ الحَجِّ- أيضًا:

إقامَـةُ ذكـرِ الله تعالـى، ففـي الحديـثِ يقـولُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إِنَّمَـا جُعِـلَ الطَّـوَافُ بِالْبَيْـتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَرَمْيُ الْجِمَارِ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللهِ**» صحّحه الترمذي، وقال الشيخُ ابنُ باز في فتاويه (١٦/ ١٨٦): «وهو حديث ثابت».

فالعُمْرةُ فيها إقامَةُ ذكرِ اللهِ في جميعِ مناسِـكِهَا مِنَ التلبِيَـةِ بَعْـدَ الإحـرامِ ولزومِهَا حتَّى يشـرَعَ المُعْتمِرُ بالطـوَافِ، وذكـرُ اللهِ والدُّعَاءُ في الطوافِ والسـعْيِ، وكلُّ هذا مِنْ إقامَةِ ذكرِهِ تعَالَى.

فهذهِ بعْضُ مقاصِدِ عبـادةِ العُمْرَةِ، وهِيَ أكثرُ مِنْ أنْ يحِيطَ بِهَا أحَدٌ.

مكةُ البلدُ الحرامُ، والذكرياتُ الخالدةُ

(لقد فاضَلَ اللهُ بينَ الأماكِنِ والأزمنَةِ والأشخَاصِ، قالَ اللهُ -تعالَى-: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ [القصص: ٦٨] وهذا التَفَاضُلُ هو مَحْضُ اختيارِ اللهِ وحدَهُ لا يشارِكُهُ فيه مُشارِك، وبيّنَ هذا لعبادِهِ ليعتنُوا بِهِ، ويهتمُّوا لَهُ، فينتفِعُوا بهَذِهِ المَعْرِفَةِ.

ومنَ الأمَاكِنِ الفاضِلَةِ التي فضَّلَها، بَلْ أجلُّ مَا فضَّلَ: مكَّةُ -حرَسَهَا اللهُ-؛ ففضَّلَهَا علَى سائِرِ البلدَانِ، وجَعَلَ لهَا المكانَةَ العالِيَةَ عنْدَهُ، وفي نفوسِ المؤمنينَ، وبيانًا لهذَا التفضِيلِ، وتلْكَ المَكَانَةِ،

جعَلَ لهَا أسمَاءً كثيرَةً، فهِيَ مَكَّةُ، وبكَّةُ، وأمُّ القرى، والبَلَـدُ الحَـرَامُ، والبلـدُ الأميـنُ، والبيْـتُ العتِيـقُ، والبيْـتُ الحَرَامُ، والقادِسُ؛ لِأَنَّهَا تُطَهِّرُ مِنَ الذنوبِ، وَالْمُقَدَّسَةُ، وغيرُ ذلكَ مِنَ الأسمَاءِ.

ومِـنْ شَـرَفِها أنّ اللهَ جعَـلَ بيتَهُ فيهـا، يتوجَّهُ إليهِ المسـلمُونَ في كلِّ يـومٍ خمْـسَ مـراتٍ، وأقْسَـمَ بِهَا فِـي غيـرِ مَوْطِـنٍ مِـنْ كتابِـهِ في آيَـاتٍ تُتْلَى إلـى يومِ القيامَةِ ليعْلَمَ العبَادُ فضلَهَـا ومكانَتَهَا وحُرْمَتَها، قالَ -سـبْحَانَهُ-: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ [التين: ١-٣].

وقـال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾ [البلـد: ١-٢] وجـاء ذكرُهَـا في مواطِنَ كثيرَةٍ

مِنْ كتَابِ اللهِ المَجِيدِ.

وجعَلَهَا مولدَ خليلِهِ محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومُنْطَلَقَ الرسَالَةِ، وأوَّلَ مكانٍ نزَلَ جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بكتابِ اللهِ علَى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانَتْ تجمَعُ خيارَ العِبَادِ بعدَ النبيينَ -وهمُ الصحَابَةُ الكرَامُ-.

وأريدُ منكَ -أيّهَا القارِئُ الكريمُ- إذَا كنْتَ فِي مكَّةَ أَنْ تسترْجِعَ ذكرياتِ بدايَةِ البعثَةِ، ونزولَ الوحيِ فيهَا خلالَ ثلاثَ عشرةَ سنَةً، وصبرَ النّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحَابِه، وإخفاءهُمُ الدعوَةَ، وجهرَهُمْ بِهَا، وما لَقُوهُ مِنْ أذى أهلِهَا الكفَّارِ، وحتَى تعيشَ بوجدانِكَ تلكَ الأحدَاثَ، تذكَّرْ وأنتَ تقرأُ آياتِ القُرْآنِ أوْ

تسـمَعُهَا أنَّهَـا نَزَلَتْ فِـي هذا المكَانِ الـذِي أنتَ فيهِ الآنَ، تذكَّرْ عندَمَا سألَ الكفّارُ النّبيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربِّهِ، فأجابَهُمْ بقولِـهِ تعالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١-٤] وأنّهـا نزلَتْ هُنَا فِي مَكَّةَ.

وتذكَّـرْ وأنْـتَ تقْـرَأُ قولَـهُ تعَالَـى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا الْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: ١-٦] وأنّ هـذه الآيـاتِ أجـابَ بهـا النبـيُّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السفهاءَ منْ كفّارِ مكةَ عندَمَا طلَبُوا منْهُ أنْ يعبُدَ آلهتَهُمْ عامًا، ويعبدوا اللهَ عامًا، فكانَ هذا الجوابُ المِفْصَلِيُّ في هذه المسألَةِ، وغيرَها مِنَ الآياتِ التِي نزَلَتْ فِي مكةَ.

إنَّ استحضَارَ قاصِدِ مكَّةَ مكانَتَهَا ممَّا يزيدُ الزائِرَ تعظيمًا لَهَا، ويقينًا برفْعَةِ شأنِهَا، وقدسيتِهَا، وجلالَةِ قدرِهَا، وعُلُوِّ منزلَتِهَا.

ومكةُ بلدٌ مبارَكٌ بمنطوقِ آيِ القرآنِ، يقولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران ٩٦].

وقولـه: ﴿بِبَكَّةَ﴾ قيـلَ فِـي معنَاهَـا: أنَّ النَّـاسَ يَتبَاكُّـونَ فِيهَا، أَيْ: يَزْدَحِمُونَ، وقيـلَ: غيرُ ذلكَ مِنَ المَعَانِي.

وقولُـهُ: ﴿مُبَارَكًا﴾ أيْ: ذَا بركَـةٍ، فالبَرَكَةُ محيطَةٌ بِهَا، فمِـنْ بركَتِهَا أنَّ اللهَ جعَلَها بلـدًا آمِنًا يأمَنُ النّاسُ فيهِ علَى أنفُسِـهِمْ وأهليهِمْ وأموالِهِمْ، ومِنْ بركَتِهَا أنَّ اللهَ جعَـلَ الطعَامَ والخيراتِ تأتِي إليهَا مِنْ كلِّ مكانٍ، فمَعَ أنَّ مكَّةَ ليسَتْ بأرضِ زرعٍ ولا ثَمَرٍ إلَّا أنَّ الثمرَاتِ لا تنقَطِـعُ عنهَا، ومِنْ بركاتِهَا ما جعَلَهُ اللهُ فيهَا مِنْ ماءِ زمزَمَ، فهِيَ عَيْنٌ جارِيَةٌ مِنْ آلافِ السـنين، لَمْ تنضُبْ أو ينقُصْ ماؤُهَا، فهَذِهِ -وغيرُها- بركَاتٌ حِسِّيَّةٌ.

أمّا البركاتُ الشرعيَّةُ -وهِيَ الأعظَمُ، والأشرَفُ، والأنفَعُ للمؤمِنِ- فهُوَ مَا جعلَهُ اللهُ مِنْ مُضَاعَفَةِ أجرِ الصلَوَاتِ فيها، فالصَّلَاةُ فِي الحَرَمِ بمئَةِ ألفِ صلاةٍ، وهذَا لا يوجَدُ لَهُ مثيلٌ أبدًا في المُضَاعَفَةِ، بلْ حتى الصلاةُ فِي مسجِدِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وإنْ كانَتْ خيرًا مِنْ ألفِ صلاةٍ في غيرِهِ مِنَ المَسَاجِدِ- إلا أنَّ البوْنَ بينَ المُضَاعَفَةِ شاسعٌ -كمَا تَرى- فلِذَا حَرِيٌّ بالعبدِ أنْ يجعَلَ لنفسِهِ أزمِنَةً يبقَى فيهَا في مكةَ اغتنَامًا لهَذَا الأجْرِ العظِيمِ، وأنْ لا ينقَطِعَ عنهَا قدْرَ استطاعَتِهِ، ولِذا كَانَ كثيرٌ مِنَ الأخيَارِ يتعَاهَدُونَ زيارَتَهَا، ولا يُطيلُونَ الانقِطَاعَ عنهَا، اغتِنَامًا لهَذَا الفضْلِ الكبيرِ.

ومنْ بَرَكَـةِ مكةَ مَا جَعَلَهُ اللهُ منْ عبـادَاتٍ لا تكُونُ إلا فيها، ففيهَا عبادَةُ الطَّوافِ والسـْعيِ، وهذَا الطوافُ يكونُ تارَةً فِي الحَجِّ، وتارَةً فِي العمرَةِ، وتارَةً تطوُّعًا.

ومـنْ بركَتِهَا مَـا يُحَطُّ فيهَـا مِنَ الخطايـا والآثامِ، ومغفرَةُ الذنـوبِ، وغيرُ ذلكَ مِنَ البَرَكَةِ التِي لَا حصرَ لَهَا.

إنَّ استحضَارَ هذهِ المَعَانِي وأنْتَ مُقْبِلٌ علَى مكةَ لجدِيرٌ بِأَنْ يجعلَكَ تُعظِّمُهَا، وقارِنْ بينَ رَجُلَيْن:

أحدِهِمَا: أتَى مكةَ وهـوَ مُعظِّمٌ للزمَانِ والمكانِ، فتجِدُهُ ناوِيًـا الإكثَارَ مِنْ فعْلِ الخيـراتِ فيهَا، عازِمًا على اغتِنَـامِ زمانِـهِ بالطاعَاتِ والقُرُبَـاتِ، ومتحرِّزًا مِـنَ الذنُوبِ، خائفًا وجِلًا مِـنْ أنْ يرتكِبَ محذورًا،

أو يتجاوَزَ حدًّا؛ فلِذَا تراهُ حافظًا بصرَهُ وسمْعَهُ، بل وقلبَهُ منْ أنْ ينطوِيَ علَى خطيئَةٍ أو ذنبٍ يُبغضُهُ اللهُ، وترى السكينةَ ظاهرَةً علَى جوارِحِهِ، والخشيَةَ تسكُنُ قلبَهُ، والمراقبَةَ لربهِ تصحَبُهُ طيلَةَ أدائِهِ شعَائِرَ عمرَتِهِ، ومُدَّةَ بقائِهِ فِي مكَة.

إنّ هذا القِسْمَ مِنَ المعتمِرِينَ سيعودُونَ -بإذنِ اللهِ- بعمرةٍ قَدْ هذّبَتْ سلوكَهُمْ، وأصلَحَتْ أحوالَهُمْ، ويزدَادُ مَعَهَا الإيمَانُ فِي قلوبِهِمْ.

ولئنْ كانَ المَرْءُ لا ينَفَكُّ عنِ الخطيئَةِ، إلا أنَّهُ لا ينبغِي لَهُ التسَاهُلُ فيهَا، والجرأَةُ عليهَا، وإذا وَقَعَ فِي معصِيَةٍ، أَوْ حصَلَ منْهُ خلَلٌ، بادَرَ إلى التوبَةِ، ومعالجَةِ ذَلِكَ الذنبِ بالاستغفَارِ، والبُعْدِ عَنِ الإصْرَارِ.

وأمّـا الآخَرُ: فقدْ جـاءَ لأداءِ عمرَةٍ سـريعَةٍ، دونَ النَّظَـرِ للحِكَمِ فيهَا، غيرَ عازمٍ علَى أدائِهَا علَى أكمَلِ وجهٍ، ولا ساعيًا لتحصيلِ ما فيها مِنْ ثمراتٍ ومنَافِعَ، إنَّ البَوْنَ بينَ الرجُلَيْنِ ظاهِرٌ، والفرْقَ فِي الأَثَرِ عليهِمَا سيكونُ واضحًا.

فيا أيّها المعتَمِـرُ الموفَّقُ: إذا قصَـدْتَ مكةَ فعَظِّمِ الزمَانَ والمكانَ لتنتفِعَ بهذِهِ العبَادَةِ، وتكتَسِبَ التقوَى مـنْ خلالِهَا، فهـيَ عبَادَةٌ جليلَـةٌ لهَا أثرُهَـا البيِّنُ على صاحِبِهَا، وتُحَدِثُ تغيُّـرا واضِحًا على من أدَّاها علَى وجهِ الكَمَـالِ، وهذَا مِنْ فضْلِ اللهِ علَى عبادِهِ) مقتبَسٌ بتصرُّفٍ يسيرٍ مِنْ كِتَابِي (الحجُّ ورُوحُ العبَادَةِ فيهِ)

فَضَائلُ العُمْرَةِ

وَرَدَتْ فضائـلُ كثيـرةٌ للعمـرَةِ، معرفتُهَـا تجعَلُ العبدَ يُقبِلُ عليهَا بانشراحِ صدْرٍ، وبرغبَةٍ صادِقَةٍ لنيْلِ هـذهِ الفضَائِلِ، ولعلِّي أنْ أذكُـرَ بعضَهَا -تذكيرًا بهَا، وتحفيزًا للنفُوسِ-، فمِنْ فضائِلِهَا:

* أنّهـا: (**الحُجُّ الأصغرُ**) كما جَاءَ في كتَابِ عمرو بنِ حـزمٍ، والحديثُ رواهُ البيهَقِيُّ في سُـنَنِهِ، قالَ ابنُ حَجَـرٍ: (**وقد صحّـحَ الحديـثَ بالكتـابِ المذكورِ جماعَةٌ مِنَ الأئمَّةِ، لَا مِنْ حيثُ الإسنَادِ، بلْ منْ حيثُ الشهْرَةِ**) [التلخيص الحبير: ٤/ ١٧].

وقال ابنُ عبدِ البَرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هذا كتابٌ مشهورٌ عندَ أهلِ السِّيَرِ، معروفٌ ما فيهِ عندَ أهلِ العلْمِ معرِفَةً يُستغنى بشُهْرَتِهَا عنِ الإسنَادِ؛ لأنَّهُ أشبَهَ التواتُرَ فِي مجيئِهِ لتلَقِّي النَّاسِ لَهُ بالقَبُولِ والمَعْرِفَةِ) [التمهيد، لابن عبد البر: ١٨/ ٣٣٨ - ٣٣٩]

* وممَّا يدُلُّ علَى فضلِهَا، وعلُوِّ مكانَتِهَا وقدْرِهَا أنّ جمْعًا مِنْ أهلِ العِلْمِ أوجبَهَا فِي العُمُرِ مرَّةً واحدةً، واستدَلُّوا على ذلِكَ بأدلَّةٍ منهَا: مَا رواهُ ابنُ ماجَه عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ عَلَى النِّسَاءِ جِهَادٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ، عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لا قِتَالَ فِيهِ الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ». (قال النَّوَوِيُّ فِي «المجمُوعِ» إسنَادُهُ صحيحٌ علَى شرْطِ البُخَارِيِّ ومسلِم اهـ. وصحَّحَهُ الألبَانِيُّ فِي صحِيحِ ابنِ مَاجه).

ووجْـهُ الاسـتدْلالِ مِـنَ الحديـثِ قـولُ النَّبِـيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (عَلَيْهِنَّ) وكلمَةُ (على) تفيدُ الوجُوبَ.

ومما اسـتدَلُّوا بِهِ مَا جَاءَ عندَ أبِي داوُدَ، والنَّسَائِي عَـنِ الصُّبَيّ بْنِ مَعْبَدٍ قال كُنْتُ أَعْرَابِيًّا نَصْرَانِيًّا، فَأَتَيْتُ عُمَـرَ، فَقُلْتُ: يَـا أَمِيـرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَسْـلَمْتُ، وَإِنِّي وَجَدْتُ الْحَجَّ وَالْعُمْـرَةَ مَكْتُوبَيْنِ عَلَيّ فَأَهْلَلْتُ بِهِمَا، فَقَالَ عُمَرُ: (هُدِيتَ لِسُنَّةِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

ونُقِـلَ الوجُوبُ عـنْ جمَاعةٍ مِـنَ الصحَابَةِ منهُمُ ابنُ عبَّاسٍ وابنُ عُمَرَ وجابِرُ بنُ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قالَ جابِر: (لَيْسَ مُسْلِم إِلا عَلَيْهِ عُمْرَة) قال الحَافِظُ: رَوَاه اِبْن الْجَهْم الْمَالِكِيّ بِإِسْنَادٍ حَسَن اهـ.

وقال البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بَاب وُجُوبِ الْعُمْرَةِ وَفَضْلِهَا، وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: (لَيْسَ أَحَدٌ إِلا وَعَلَيْهِ حَجَّةٌ وَعُمْرَةٌ)

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: (إِنَّهَا لَقَرِينَتُهَا فِي كِتَابِ اللهِ، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾) اهـ

وقولُهُ: (لَقَرِينَتُهَا) أي: قرينَةُ فريضَةِ الحَجِّ.

وقالَ الشيخُ ابنُ بازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الصوابُ أنّ العمرةَ واجبةٌ مرة في العُمر كالحجِّ) اهـ مجموع فتاوى ابن باز (١٦/ ٣٥٥).

وقال الشيخُ ابنُ عثيمينَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي «الشرحِ الممْتِعِ» (٧/ ٩): (اختَلَفَ العلماءُ في العمرَةِ، هلْ هِيَ واجِبَةٌ أو سُنَّةٌ؟ والذِي يظْهَرُ أنَّهَا واجِبَةٌ) اهـ.

وجاءَ فِـي فَتَـاوَى اللجنَةِ الدائِمَـةِ (١١/ ٣١٧):

(الصحِيحُ مِنْ قَوْلَي العُلَمَـاءِ أَنَّ العمرَةَ واجِبَةٌ، لقوْلِهِ تَعَالَـى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ ولأحادِيـثَ وَرَدَتْ فِي ذَلِكَ) اهـ.

فهَذِهِ الأدِلَّـةُ والآثَارُ تُنْبِئُكَ عَنْ مكانَةِ هَذِهِ العِبَادَةِ الجليلَةِ فِي شريعَةِ الإسْلَامِ.

* ومِمَّا يَدُلّ علَى فضلِ العُمْرَةِ: مَا جَاءَ فِي حديثِ جبريلَ المشْهُور، فقَدْ جاءَتْ روايَةُ الدارقطنيُ وابنُ خزَيْمَـةَ بزيادَةِ ذكرِ العمـرَةِ مَعَ الحَـجِّ، كمَا فِي قولِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الإسـلامُ: أَن تشـهدَ أَن لا إلهَ إلا اللهُ، وأَنَّ محمداً رسـولُ اللهِ، وأَنْ تقيمَ الصلاةَ، وتؤتِيَ الـزكَاةَ، وتحُـجَّ وتَعتَمِرَ، وتغتَسِـلَ مِـنَ الجَنَابةِ، وأنْ

تُتِمَّ الوُضُـوءَ، وتصومَ رمَضَانَ) قَالَ الدارقطني : هَذَا إسنَادٌ ثابِتٌ صحَيحٌ.

فانظُرْ كيـفَ جعَلَ النَبِـيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العُمْرَةَ مَعَ أعمَالِ الإسلَامِ العظِيمَةِ.

* ومِـنْ فضَائِلِهَـا: أنَّ النبـيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعَلَهَا تقومُ مقَامَ حَجَّةٍ مَعَهُ فِي الأجْرِ والثَّوَابِ، وَهَذَا -كَمَا ترى- فضْـلٌ كبيرٌ لهَـذِهِ العبَادَةِ علَـى الخصُوصِ، فالحَجُّ مَعَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شـرفٌ كبيرٌ لصاحِبِهِ، وقدْ جعلَ النّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سـبيلَهُ وطريقَهُ: عُمْرةً فِـي رمضَانَ، فعَـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَـالَ: «عُمرَةٌ في رمَضَانَ تَعدِلُ حَجَّةً، أَوْ حَجَّةً مَعِي» متفقٌ عليهِ.

* ومن فضائِلِهَا: **أَنَّهَا مِنْ أسبَابِ تكفِيرِ الذنُوبِ، ومحوِ الخَطَايَا.** وتكفيرُ الذنُوبِ مِنْ أنْفَسِ مطَالِبِ المؤمِنينَ، فَهُمْ قدْ علِمُوا مِنْ أنفُسِهِمْ أنَّ الذنْبَ لا ينْفَكُّ عنْهُمْ، فحَرِصُوا علَى كُلِّ عبادَةٍ تُكفِّرُ خطايَاهُمْ، ومِنْ هذهِ العبَادَاتِ: (**عبَادَةُ العُمرَةِ**) فعَنْ أبِي هريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**العُمرةُ إلى العمرةِ كفّارةٌ لما بينهما..**» رواه البخاريُّ ومسلم.

بل إنَّ المؤمِنَ إذا أدَّاهَا علَى أكمَلِ وجْهٍ، مبْتعِدًا عَنِ الذنوبِ فيهَا، فيُرْجَى لَهُ أنْ يعودَ مِنْ عمرَتِهِ كيومِ ولدَتْهُ أمُّهُ لا ذنْبَ عليهِ، وهَذَا أمْرٌ لا مثيلَ لَهُ في الفَضْلِ، يقولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَنْ أَتَى هذا البيتَ فلم يَرفُثْ، ولم يَفسُقْ رَجَع كما ولَدَتْه أمُّه**» رواهُ البُخَارِيُّ.

قالَ ابنُ حجَرٍ: «وَظَاهِرُهُ غُفْرَانُ الصَّغَائِرِ وَالْكَبَائِرِ» وإلَى هَذَا القَوْلِ ذَهَبَ القرطُبِيُّ والقاضِي عِيَاضُ.

وقولُـهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ أَتَى هَذَا البيتَ) شَـامِلٌ للحَـجِّ والعمـرَةِ، وهذا اختيارُ الشـيخِ ابنِ بازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وغيرُهُ مِنْ أهلِ العِلْمِ.

فانظـرْ لفضْلِ هذهِ العبادَةِ الجليلَةِ التِي جعَلَهَا اللهُ سـببًا لمَحْوِ جميعِ ذنُوبِ العَبْدِ، وعودَتِـهِ مِنْهَا كَيَوْمِ ولَدَتْهُ أُمُّهُ.

* ومنْ فضائِلِهَا: أنَّ المعتَمِرينَ وَفْدُ اللهِ الذينَ وَعَدَهُمْ بإجَابَـةِ دعائِهِـمْ، وإعطَائِهِـمْ مسـائِلَهُمْ، يقولُ رسـولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الحُجَّـاجُ والعُمَّـارُ وفـدُ اللهِ؛ دَعَاهُمْ فأجَابُوهُ، وسَأَلوهُ فأعطَاهُمْ» رواهُ البَزَّار، وهُوَ حديثٌ حَسَنٍ.

* ومِنْ فضَائِلِهَا: أنَّ مَنْ تَابَعَ بينَهَا وبينَ الحَجِّ سَلِمَ -بإذنِ اللهِ- مِـنَ الذُّنُوبِ وآثارِهَا، وَمِـنَ الفَقْرِ وضيقِ العَيْشِ فِـي الدنيا، يقـولُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «تابِعُوا بينَ الحجِّ والعمرة، فإنَّ مُتَابَعَةً بينهُمَا تنفِي الفقْرَ والذُّنُوبَ كمَـا ينْفِـي الكيـرُ خَبَـثَ الحديـدِ» وهـو في صحيح النسائي.

وفيه مشروعِيَّةُ المُتَابَعَةِ بينَ هاتينِ العبادَتَيْنِ وعدمِ الانقِطَاعِ عنهَا حسبَ ما ييسِّرُ اللهُ للعَبْدِ.

* ومـنْ فضَائِلِهَـا: أنَّ النَّبِـيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَـلَ أعمَالَهَا تقومُ مَقَامَ الجِهَادِ فِي سبيلِ اللهِ، وتعوِّضُ عنْهُ إذَا لم يقدِرْ عليهِ العبْدُ، وفي هذا بيانٌ واضِحٌ جليٌّ يُبيِّنُ عظَمَـةَ هـذِهِ العبَادَة، يقولُ رسـولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«جهـادُ الكبيـرِ والصغيرِ والضَّعيـفِ والْمَـرْأةِ الحَجُّ والعمْرَةُ» رواه النسائيِّ.

فانْظُرْ كيفَ جَعَلَ النّبيُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العُمرةَ تقومُ مقـامَ الجِهَادِ في سـبيلِ اللهِ لتسـتَدِلَّ بهَذَا علَـى رفِيعِ منزلَتِهَا.

* ومـنْ فضَائِلِهَـا: أنَّ مَنْ مَاتَ فيهَا كُتِـبَ لَهُ أجرُ المعتَمِرِ إلَى يومِ القِيَامَةِ، ولَا تستَعْظِمْ كثرَةَ هَذَا الأجْرِ، (فالأَجْرُ كمَا قرَّرَ أهلُ العِلْمِ: لا يدخُلُهُ القِيَاسُ) ومِمَّا يـدُلّ علَى هذَا الفضْلِ ما جَاءَ فِـي حديثِ أبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قَالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ خَرَجَ حَاجًّـا فَمَاتَ كُتِـبَ لَهُ أجْرُ الحَـاجِّ إلَى يـومِ القِيَامَةِ، وَمَـنْ خرَجَ مُعْتَمِـرًا فَمَاتَ كُتِبَ لَهُ أجْـرُ المُعْتَمِرِ إلَى

يـومِ القِيَامَةِ» قـالَ الذَّهَبِيُّ: رواهُ أَبُو يعلَـى منْ روايَةِ مُحَمَّد بنِ إسـحَاقٍ، وبقيَّةُ رواتِهِ ثِقَاتٌ. قالَ الأَلبَانِيُّ في صحِيحِ التَّرْغِيبِ: صحِيحٌ لغيرِهِ.

فهـذهِ الفضَائِـلُ وغيرُهـا تَـدُلُّ علَى مكانَـةِ هذهِ العِبَـادَةِ، ورفيعِ منزِلَتِهَـا، وتجْعَـلُ المؤمِنَ يحرِصُ علَـى أدَائِهَا كامِلَـةً، وعدَمِ إطَالَةِ الانقِطَـاعِ عنهَا قدْرَ استطَاعَتِهِ، والمُوَفَّقُ مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ.

❋❋❋

عُمْرةٌ بقلبٍ حَاضِرٍ

العُمْـرَةُ عبـادةٌ جليلَـةٌ، حالُهَـا كحَـالِ كلِّ عِبَادَةٍ يتقـرَّبُ بهَـا العبْدُ إلَى رَبِّـهِ تَعَالَى، فَمَـنْ رامَ الانتِفَاعَ الكامِلَ مِنْ هَذَا النُّسُكِ، فعليهِ العنَايَةُ بشأنِهَا، وأداؤها بقَلْبٍ حاضِرٍ، سـاعِيًا أنْ يُوقِعَهَا علَى أحْسَـنِ مَوْقِعٍ، ليجْنِـيَ ثمَرَتَهَـا، وينَالَ أوفَـرَ الأجْرِ والثـوَابِ مِنْهَا، فمِـنَ المعْلُـومِ أنَّ ثـوابَ الطاعَـةِ يختَلِفُ مِـنْ عَابِدٍ لآخَرَ، وذَلِكَ بحسـبِ مَا يقومُ بقلبِهِ مِنَ الإخلاصِ، وحضُـورِ القَلْبِ فيهَا، والاجتهَادِ فِـي إكمَالِهَا، ولِذَا كَانَ أعظَـمَ الأمُورِ رِعَايَـةً، وأولَاهَـا بالعِنَايَةِ: **تذكيرُ النفسِ بأهمِّيَّةِ الإخْـلاصِ، وابتِغَاءِ وجْهَ اللهِ قبلَ البَدْءِ**

بهَـا، قَالَ الطَبَـرِيُّ عندَ قَـوْلِ اللهِ -تَعَالَى-: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقـرة: ١٩٦]: (إِتْمَامُهُمَا أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أهلِكَ لَا تُرِيـدُ غيرَهُمَا) فالعُمْرَةُ عبَادَةٌ ظَاهِرَةٌ تحتَاجُ إِلَى مراقَبَةِ النِيَّةِ فيهَا.

والإِخْلَاصُ لَهُ أَثَرُهُ فِي إِحسَـانِ العِبَادَةِ، وإِتمامُهَا علَى أكمَلِ حَالٍ، فيُخْلِصُ العبْدُ عنْدَ عقْدِ النِيَّةِ للسَفَرِ للعُمْـرَةِ، مبتغِيًا بِهَا الأجرَ مِنَ اللهِ وحدَهُ، ويُجدِّدُ هذه النيَّةَ عِنْدَ الإِحْرَامِ، وعنْدَ الطَوَافِ والسَّعْيِ.

وهنـا مَلْحَـظٌ مهِـمٌّ ينبغِـي التنبيـهُ عليـهِ، وَهُـوَ: (أنّ اسـتقامَةَ العبْـدِ على شـرْعِ اللهِ فِي سـائِرِ حياتِهِ لَهُ أَثَـرُهُ فِي التوفِيـقِ لإِتقانِ العِبَـادَاتِ، فكلَّمَـا كانَ ألزَمَ للطاعَـةِ وفَّقَهُ اللهُ فيهَا، وَهَذِه أحدُ ثمراتِ الاسـتقَامَةِ،

فالحَسَنَةُ تُنادِي أختَها، والتوفيقُ ملازِمٌ للعبدِ الصَّالِحِ فِي طاعاتِهِ كلِّهَا).

ثانيًا: احرِصْ على أدائِهَا على السُّنّةِ مَا استطَعْتَ إلى ذَلِكَ سبيلًا، وهذَا لا يتمِّ إلا بمعرِفَةِ صفَتِهَا الكامِلَةِ كمَا ثبتَتْ عنْ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وهذا بيانٌ موجَزٌ لصِفَةِ العمْرَةِ الكامِلَةِ:

إذا وصلْتَ -أيُّهَا الموفَّقُ- الميقَاتَ فاغتَسِلْ للإحْرَامِ، فالاغتسَالُ لَهُ سُنَّةٌ ثابِتَةٌ، وتطيَّب في اللحْيَةِ والرأْسِ، فهذِهِ هي السُّنّة لِمَا فِي الصحيحَيْنِ منْ حديثِ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كُنْتُ أُطَيِّبُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأَطْيَبِ ما يَجِدُ، حتَّى أجِدَ وبِيصَ الطِّيبِ في رَأْسِهِ ولِحْيَتِهِ» رواه البخاري ومسلم.

والوَبيصُ، هُوَ: البَرِيقُ واللمَعَانُ.

ثـمّ البَـسْ إحرامَـكَ، فـإنْ أحرمْتَ وقْـتَ صلاةِ فريضَةٍ، فادخُلْ في النُّسُـكِ بعدَ هذهِ الصلاةِ، وإنْ لَمْ يكنْ وقْتَ صَلَاةٍ، فصلِّ ركعتَيْنِ نَافِلَةً، ثمّ انوِ الدخولَ فِي نُسُـكِ العمرَةِ، وَقُلْ: (لبيكَ اللهُـمَّ عمْرَةً) (لَبَّيْكَ اللَّهُـمَّ لَبَّيْـكَ، لَبَّيْكَ لا شَـرِيكَ لكَ لَبَّيْـكَ، إنَّ الحَمْدَ والنِّعْمَةَ لكَ والمُلْكَ، لا شَرِيكَ لَكَ)

ومعنى التلبية: الإجَابَةُ بَعْدَ الإجَابَةِ.

فالمعنَـى: كلَّمَا أجبتُكَ في أمْرٍ فأنَا في الأمْرِ الآخَرِ مُجيبٌ.

ومنْ معانِي التلبِيَةِ: الإقَامَةُ واللزومُ، فيبقَى المُعتَمِرُ مقيمًا علَى طَاعَةِ ربِّهِ، ملازِمًا لهَا طيلَةَ تلبُّسِهِ بأعمالِهَا،

ولعلَّهَا أنْ تكـونَ إقامَةً دائِمَةً علَـى الطاعَةِ حتَّى يلقَى الموَفَّقُ ربَه عَزَّوَجَلَّ.

ومعرِفَـةُ هـذه المعَانِـي لَهَـا أهميَّتُهَـا وأثَرُها فِي حضُورِ القلْبِ فيهَا.

وقـد ورَدَتْ بفضـلِ التلبِيَةِ الآثَارُ، ومِـنْ ذلكَ مَا جَـاءَ فِي قولِهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «ما أَهَلَّ مُهِلٌّ قَطُّ ولا كبَّرَ مُكَبِّرٌ قَطّ إلا بُشِّـرَ بالجنَّـة» أخرجَهُ الطَبَرانِيُّ، وهوَ في صحِيحِ الجَامِعِ.

وعـن سـهلِ بـنِ سـعْدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عـنْ رسـولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «ما مِنْ مسـلمٍ يلبِّي إلَّا لبَّى من عن يمينِـه أو عن شـمالِه من حجرٍ أو شـجرٍ أو مدرٍ حتَّى

تَنقطـعَ الأرضُ من هاهنـا وَهاهنا» رواه الترمـذيُ وابنُ ماجه وصحّحه الألبانيُ.

فما حوْلَ الملَبِّي يُلبِّي كلُّهُ بتلبِيَتِهِ، وفِي هذَا دلالَةٌ واضِحَةٌ لفضْلِ هذهِ العِبَادَةِ الجليلَةِ، حتَّى قالَ بعضُ أهـلِ العِلْمِ: (يُلبِّـي مَنْ حولَهُ، فينَـالُ أجرَهُمْ لأنَّهُ هوَ السـبَبُ في هـذِهِ العبَادَةِ) فانْظُـرْ لفضْلِهَـا، وكيفَ أنَّ المقَصِّرَ فيهَا يفُوتُهُ فضْلٌ كبيرٍ.

ولا يقطَعُ المُلبي التلبيةَ حتى يشـرَعَ فِي الطوَافِ، وهذِهِ هي السُنّةُ فيهَا، وما ترَاهُ اليومَ مِنْ تفريطٍ ظاهِرٍ فِي التَلْبِيَةِ عندَ الإحرَامِ وبعدَهُ إنّما هُوَ بسبَبِ الضعْفِ فِي تطبيقِ هَذه السُنّةِ، والزهدِ فِي أجرِهَا، فتنَبَّهْ.

وهنَا توجيهٌ يغفلُ عنـهُ الكثيرُ، وهُوَ: أنَّهُ كلَّمَا طبَّقَ العابِدُ السنَنَ فِي عبادَاتِهِ أتقنَهَا ووفِّق فيهَا، وعظُمَ أجرُهُ وثوابُهُ، ووجَدَ أثَرَهَا عندَ الأدَاءِ، وبعدَ الانتهَاءِ مِنْهَا.

فـإذَا مَا أقبَلْـتَ على مكةَ، فالسُـنَّةُ الاغتسَـالُ عندَ دخولِهَا -إنْ تيَسَّرَ لكَ ذلِكَ-؛ «لأنّ النبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اغتسَلَ عندَ دخولِهِ مكَّةَ» كمَا فِي صحِيحِ مسلم، وجاءَ فِي مُوَطَّـأِ الإمامِ مالِكٍ منْ طريقِ نافِـعٍ عَنِ ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (أنَّهُ كانَ إذَا خَرَجَ حاجًّا أو معتمرًا لم يدخُلْ مكَّةَ حتَّى يغتَسِلَ، ويأمُرَ مَنْ مَعَهُ أنْ يغْتَسِلَ).

فتغتَسِـلُ قبلَ البـدءِ بالطَّـوافِ لتكونَ علَـى هيأةٍ حسنةٍ، ولتُؤدِّيَ العمرَةَ بنشَاطٍ.

وهنا أمرٌ مهمٌّ ينبغِـي التنبيهُ عليهِ، وَهُوَ: (أنّ بعضَ المعتمرينَ يقدِمُونَ مكَّـةَ وقدْ بلَغَ منهُمُ التعَبُ مبلَغَهُ، فيريدُ أنْ يؤدِّيَ العمرَةَ بعدَ وصولِهِ مباشَـرَةً -وإنْ كانَ مُجَهـدًا- لأجلِ أنْ ينتهِيَ منهَا، فيُؤديها بجهْدٍ شـديدٍ عليـهِ وعَلَـى مرافقِيـهِ، ويرغَـبُ بالانتِهَـاءِ منهـا بأيِّ طريقَـةٍ؛ ولئِنْ كانَتِ السُـنَّةُ أن يبدَأَ بالعُمْـرَةِ إذَا وَصَلَ مكَّـةَ إلا أنَّ القاعِدَةَ: (أنَّ مراعاةَ ذاتِ العبادَةِ أوْلَى مِنْ مراعَـاةِ زمَانِهَا ومكانِهَا) فلوْ أخَّـرْتَ أداءَ العمرَةِ بعدَ أخذِ قِسْـطٍ مِنَ الراحَةِ لتؤدِّيَهَا علَى أحْسَـنِ حالٍ، فهُوَ الأجدَرُ والأَوْلى ، فأنتَ إنَّمَا جئْتَ مَكَّةَ لأجلِ العمرَةِ، فاعتَنِ بشأنِهَا لتُؤدِّيَها علَى أكمَلِ وجْهٍ).

فإذَا ما دخَلْتَ المسجِدَ الحرَامَ، فادخُلْه مُعظِّمًا لربِّكَ، حامِدًا مَوْلَاكَ بمَا يَسَّرَ لَكَ الوصولَ إلَى هذِهِ المواطِنِ المُبَارَكَةِ.

(وطُفْ بهِ مُتَذَكِّرًا أنَّه أوَّلُ بيتٍ وُضِعَ للعبَادَةِ في الأرضِ، وأنَّ اللهَ جعَلَهُ قِبْلَةً للمسلمين، يؤُمُّونَهُ كلَّ فَرْضٍ، وإذا استحضَرْتَ تفاوُتَ مواقيتِ الصلوَاتِ فِي العَالَمِ عرَفْتَ أنَّهُ يُؤمُّ ويُتجَّهُ إليهِ فِي كلِّ دقيقَةٍ مِنْ دقائِقِ الليلِ والنَّهَارِ، فما أعظَمَ هذا البيتَ! وما أرفعَ مكانَتَهُ!

قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَزَالُ هَذِهِ الأُمَّةُ بِخَيْرٍ مَا عَظَّمُوا هَذِهِ الحُرْمَةَ حَقَّ تَعْظِيمِهَا**» أخرجه ابن ماجه.

وكانتْ مكانَةُ الكعبةِ عظيمةَ القدْرِ عندَهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولذَا لمَّا رَقَى علَى الصَّفَا نظَرَ إليهَا مَعَ أنَّهُ فِي السعيِ إلا أنَّهُ أرادَ أنْ يُعَلِّم النّاسَ عظمةَ البيتِ، وارتبَاطَ القلوبِ بِهِ، وأنَّ استقبَالَهُ حالَ الدعاءِ مِنْ آدابِهِ ومِنْ أسبَابِ استجْمَاعِ القَلْبِ فيهِ.

قالَ ابْنُ رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفي الأثرِ: أنَّ آدمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لمَّا حجَّ البيتَ وقضَى نُسُكَهُ، أتتْهُ الملائِكَةُ، فقَالُوا له: يا آدمُ، بَرَّ حَجُّك، لقدْ حججنَا هذَا البيتَ قبْلَكَ بألفَيْ عَامٍ) [لطائف المعارف:٦٣]

كأني أمامَ العتيقِ ذَهُولْ

وهذا الجلالُ بسِرِّي يجولْ

ومـا إنْ وقـفـتُ بِـبَـيْـتِـكَ عَـبْـدًا

رأيــتُ الـجـمـالَ إلـيـكَ يـؤولْ

فَــأيُّ بَــهَــاءٍ وَأَيُّ ضِـيَـاءْ

إِذَا شَــعَّ نُــورٌ يَـعُـمُّ الْـفَـضَـاءْ

فَـكَـعْـبَـةُ رَبِّــي جَــلالٌ وَنُــورٌ

وَكَعْبَـةُ رَبِّـي ائْتِـلاقُ السَّـمَاء)

[انظر كتاب: الحج، وروح العبادة فيه]

والسُـنّةُ إذا دخلَ المعتمـرُ الحرَمَ البـدءُ بالطوافِ بالبيـتِ، فيبـدَأُ عمرَتَـهُ بالحجَـرِ الأسـوَدِ، فيُقبّلُهُ إنْ تيَسَّـرَ لَـهُ ذلك، فإنْ شـقَّ عليـهِ التقبيلُ اسـتلَمَهُ بيدِهِ وقبَّـلَ يَـدَهُ، فإنْ شـقَّ عليـهِ اسـتلَمَهُ بعَصَـا وقبَّلَهَا،

فإنَّ شـقَّ عليهِ أشـارَ إليهِ بيدِهِ وكبَّرَ ولا يُقبِّـل يدَه بَعْدَ الإشـارَةِ -كَمَا يَفْعلُ البَعْضُ-، ويبـدأُ طَوَافَهَ قائلًا:

(بسم اللهِ واللهُ أكبرُ، اللهمَّ إيمانًا بكَ وتَصْدِيقًا بِكَتَابِكَ، ووَفَاءً بِعَهْدِكَ، واتِّبَاعًا لسُنَّةِ نَبِيِّكَ)

واضطْبِعْ في طوافِكَ، **والاضطِبَاعُ**، هُوَ: **(أنْ يَجْعَلَ المُحرِمُ وسـطَ ردائِهِ تحتَ كتِفِـهِ الأيمَنِ، ويردَّ طرفَيْهِ علَى كتفِهِ الأيسَـرِ مَـعَ بقَاءِ الكتِفِ اليُمْنَى مكشُـوفَةً)** ويكونُ هـذَا الاضطِبَـاعُ طيلَةَ الطوافِ، حتَّـى إذَا مَا انتهى مِنْ طوافِهِ غطّى منكِبَيْهِ ليُصلِّيَ ركعَتَيِ الطوافِ وَهُوَ ساتِرُهُمَا.

وارملْ في أوَّلِ ثلاثَةِ أشـواطٍ فقـطْ، **والرَّمَلُ**، هوَ: **(الإسـراعُ في المشـيِ مِـنْ غيـرِ مُبَاعَدةٍ للخطَـوَاتِ،**

وهُوَ للرِجَالِ دونَ النساءِ بإجمَاعِ العُلَمَاءِ)

وقبلَ البـدءِ بالطَّوَافِ اسـتَحضِرْ فضائِلَهُ لتطوفَ بقلْبٍ شاكِرٍ،ولسـانٍ ذاكِـرٍ، فمنْ فضائِلِـهِ: أنَّ لكَ بِهِ أجْـرَ عتْقِ رقبَةٍ، يَقُولُ النَّبِـيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ طَافَ أُسْبُوعًا يُحْصِيهِ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ: كَانَ لَهُ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ»

رواه الترمذيُّ وأحمدِ.

ومعنى قولِهِ: (أُسْبُوعًا) يعنِي: سبعَةَ أشواطٍ.

ومنْ فضائِلِهِ: أنْ تعلمَ أنّ كلَّ خطواتِكَ في الطوافِ حسناتٌ، وتكفيرٌ للسيئاتِ، يَقُولُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَـا رَفَعَ رَجُلٌ قَدَمًـا وَلَا وَضَعَهَا: إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ عَشْـرُ حَسَـنَاتٍ، وَحُـطَّ عَنْهُ عَشْـرُ سَـيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْـرُ دَرَجَاتٍ» رواه أحمد، وحسّنه أحمد شاكرِ.

وَكُنْ حاضِرَ القلْبِ فيهِ، غيرَ منشَغِلٍ بغيرِهِ،

فالطوافُ عبادةٌ لا تستغرِقُ إلا وقتًا يسيرًا، وهوَ سببٌ عظيمٌ لزيَادَةِ الإيمَانِ، واستحْضِرْ نَظَرَ اللهِ لقلبِكَ وَعَمَلِكَ، وعِلْمَهُ بكَ وبنيّتِك، فأخلِصْ لهُ فيهِ، وكنْ بينَ الخوفِ والرَّجَاءِ، فأنتَ في عبادَةٍ جليلَةِ القدْرِ، وقُربَةٍ رفيعَةِ الشأْنِ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الطَّوَافُ حَوْلَ البَيْتِ مِثْلُ الصَّلَاةِ، إِلَّا أَنَّكُمْ تَتَكَلَّمُونَ فِيهِ، فَمَنْ تَكَلَّمَ فِيهِ فَلَا يَتَكَلَّمَنَّ إِلَّا بِخَيْرٍ**» وهو في صحيح الترمذي.

وتأمَّلْ حالَ السلَفِ مَعَ هذه العبادَةِ لترَى البَوْنَ الشاسِعَ بيننَا وبينَهُمْ في تعظِيمِ شعَائِرِ اللهِ، -ومنهَا عبَادَةُ الطوَافِ-.

قال عطاءُ بـنُ أبِي رَبَاح: (رأيـتُ عبدَ الله بنَ عمر وعبـدَ الله بنَ عبـاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يطوفـان بالبيت جميعًا كأنَّ على رؤوسهما الطير تخشُّعًا)

وقال: (طفـتُ وراء ابن عمرَ وابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فلَمْ أسمَعْ أحدًا منهُمَا يتكَلَّمُ في الطَّوَافِ)

وعـنْ عبدالكريـمِ بنِ أبِي المخارِقِ قـالَ: قالَ لَنَا طـاوُوسُ: (إذَا كُنْـتُ فِي الطـوافِ فَلَا تسـألُونِي عَنْ شيءٍ؛ فإنَّمَا الطوافُ صَلَاةٌ)

قالَ الترمِذِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالْعَمَلُ عَلَى هذا عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ، يَسْـتَحِبُّونَ أَلاَّ يَتَكَلَّـمَ الرَّجُلُ فِي الطَّوَافِ؛ إلاَّ لِحَاجَةٍ، أو بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى) [سنن الترمذي: ٣/ ٢٩٣]

وَقَالَ الإِمَامُ النَوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وينبغي للطَّائِفِ أنْ يكونَ فِي طوافِهِ خاشعًا متخشِّعًا، حاضِرَ القلبِ، ملازِمَ الأدَبِ بظاهِرِهِ وباطِنِهِ، وفِي هيئتِهِ وحركَتِهِ ونظرِهِ، فإنَّ الطوافَ صلاةٌ، فيتأدَّب بآدابِهَا، ويستشْعِرُ بقَلْبِه عظمَةَ مَنْ يطوفُ ببيتِهِ) [المجموع: ٨/ ٥٠]

فحَرِيٌّ بالطائِفِ أنْ يكونَ حالَ طوافِه خاشعًا، متأدِّبًا بهذه الآدابِ، منشغِلًا بهَذِهِ العبَادَةِ عَنْ كلِّ شيءٍ، صَارِفًا الذهنَ لَهَا، معتنيًا بإيقاعِهَا علَى أحْسَنِ موقِعٍ.

وكمْ مِنَ الطائفين مَنْ همّهم متَى ينتهِي مِنَ الطوافِ، وكأنّه حِمْلٌ علَى ظهْرِهِ يريدُ التخلُّصَ مِنْهُ، أو تَرَاهُ مُنشغلًا بالنّاسِ إمّا بالنظَرِ إليهِمْ، أو الحدِيثِ

إِلَى الرفِيقِ، أَوْ مُنشغلًا بجَوَّالِهِ والتصويرِ، ممَّا يجعَلُهُ لا يشعُرُ بلَذَّةِ هَذِهِ العبادَةِ، ولذَا كانَ لزامًا على الطائِفِ بالبيتِ أنْ يسعَى جهْدَهُ فِي إتقَانِهِ، وأدائِهِ على أكمَلِ حالٍ، فيكونُ في طوافِهِ بين الدعاءِ وذكرِ اللهِ، والثنَاءِ عليهِ بقلبٍ حَاضِرٍ، قالَ ابْنُ قدامَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ويستَحَبُّ الدعاءُ فِي الطَّوَافِ، والإكثَارُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ تعَالَى؛ لأنّ ذلكَ مستَحَبٌّ فِي جميعِ الأحوَالِ، ففي حالِ تلَبُّسِهِ بهذِهِ العبَادَةِ أوْلَى، ويُسْتَحَبُّ أن يَدَعَ الكلامَ، إلا ذكرَ اللهِ تعَالَى، أوْ قراءَةَ القرآنِ).

ويقولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ويُستَحَبُّ لَهُ فِي الطوافِ أَنْ يذكُرَ اللهَ تعالَى، ويدعوه بمَا شرَعَ وإِنْ قَرَأَ القرآنَ سِرًّا فَلَا بأسَ، وليسَ فيهِ ذِكْرٌ محدودٌ

عـنِ النبـيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلْ يدعو فيـه بسـائرِ الأدعِيَةِ الشـرعِيَةِ، وكانَ النبـيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يختِـمُ طوافَهُ بينَ الركنَيْـنِ بقولِـهِ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ كمَـا كانَ يختِـمُ سـائِرَ دعائِهِ بذَلِكَ، والطـوافُ بالبيتِ كالصَّلَاةِ إلَّا أنَّ اللهَ أَبَاحَ فيهِ الكلامَ فَلَا يتَكَلَّمُ فيهِ إلَّا بِخَيْرٍ) [منسـك شـيخ الإسلام]

فانْشَـغِلْ بالذكرِ والمنَاجَاةِ، وتوجَّهْ بقلبِكَ وأنْتَ تطـوفُ لتشـعُرَ بحـلاوَةِ هـذِهِ العبَـادَةِ، وكـمْ نحنُ -واللهِ- بحاجّـةٍ إلـى أنْ نجِـدَ هذه الحـلاوَةَ، واللهُ لِكَرَمِهِ -سبحَانَهُ- يُثيبُ عبدَهُ عاجِلًا علَى عبَادَتِهِ إذَا مَا أدَّاهَا بصورَةٍ تُرضِيهِ.

وادعُ بينَ الركنِ اليَمَانِيِّ والحجرِ الأسْوَدِ بالدعَاءِ المأثورِ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ فهذا -كما تقدّم- ممّا ثبَتَ عنِ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هذَا المَوْضِعِ، وكرِّرْهُ حتى تصِلَ الحجَرَ الأسوَدَ، وتذَكَّرْ أنّهُ من أجمَعِ الأدعِيَةِ لصَلَاحِ الدنيا والآخرة، وأحسنِ الظَّنَّ باللهِ، وأنَّهُ سيُكرِمُكَ بإجابَتِهِ.

وإن استطعت تقبيل الحجرَ الأسودِ، ومسْح الركنَ اليماني في كلِّ شوط أو في بعضها فافْعَلْ، فإنّهما يحُطَّانِ الخطَايا حطًا، فعنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ اسْتِلَامَهُمَا يَحُطُّ الْخَطَايَا**» رواه الإمام أحمد واللفظ له، والترمذي والنسائي.

وإن لـمْ تستطِعْ فارفَعْ يَـدَكَ اليُمْنَـى، وكبِّرْ كلمَا حاذَيْت الحَجرَ الأسـودَ فَقَط في كلِّ شوط، ولَا تُكبِّرْ أوْ تُشِرْ إلى الركنِ اليَمَانِيِّ.

افعلْ ذلِكَ كلَّهُ محتسـبًا اتِّباع السُـنّة فيهـا ليعْظُمَ أجرُكَ في هذه العِبَادَةِ.

فـإذَا مَا انتهيتَ من الطوافِ، فاقْصِدْ مقامَ إبراهيمَ لتُصلـيَ خلفَـهُ ركعتينِ -إن تيَسَّـرَ لـكَ ذَلِكَ- وإلا فَصَلِّ في أيِّ مكانٍ فِي الحَرَمِ، واقرَأْ بسورَةِ الكافِرُونَ فِي الركعَةِ الأولَى بعْدَ الفَاتِحَةِ، وبسـورَةِ الإخْلَاصِ فِي الركعة الثانيَةِ بعدَ الفاتِحَةِ.

وهاتَـانِ الركعتَـانِ تُصَلَّيَـانِ بعد الطـوافِ فِي أيّ وقْتٍ، وإنْ كانَ وقْتَ نَهْيٍ.

وإنْ دعـوْتَ بعـدَ ركعَتَـيِ الطـوافِ أحيانًـا فلا بـأس، فعَنْ نَافِعٍ تلميذِ ابنِ عمَرَ، قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِذَا قَـدِمَ حَاجًّـا أَوْ مُعْتَمِـرًا طَـافَ بِالْبَيْتِ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَ جُلُوسُهُ فِيهَا أَطْوَلَ مِنْ قِيَامِهِ ثَنَـاءً عَلَى رَبِّهِ وَمَسْـأَلَةً، فَكَانَ يَقُولُ حِيـنَ يَفْرُغُ مِنْ رَكْعَتَيْـهِ، وَبَيْـنَ الصَّفَا وَالْمَـرْوَةِ: (اللَّهُـمَّ اعْصِمْنِي بِدِينِكَ، وَطَاعَةِ رَسُـولِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي حُـدُودَكَ، اللَّهُـمَّ اجْعَلْنِـي مِمَّـنْ يُحِبُّـكَ، وَيُحِـبُّ مَلَائِكَتَـكَ، وَرُسُـلَكَ، وَعِبَـادَكَ الصَّالِحِيـنَ، اللَّهُمَّ حَبِّبْنِـي إِلَيْكَ، وَإِلَـى مَلَائِكَتِكَ، وَرُسُـلِكَ، وَعِبَادِكَ الصَّالِحِيـنَ، اللَّهُـمَّ آتِنِـي مِنْ خَيْـرِ مَا تُؤْتِـي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ يَسِّرْنِي لِلْيُسْرَى، وَجَنِّبْنِي الْعُسْرَى، وَاغْفِرْ لِي فِي الْآخِـرَةِ وَالْأُولَى، اللَّهُمَّ أَوْزِعْنِـي أَنْ أُوَفِّيَ بِعَهْدِكَ الَّذِي عَاهَدْتنِي عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ أَئِمَّةِ الْمُتَّقِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ، وَاغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ» [أخرجه ابنُ شـيبه بسـند صحيح] وَرَاعِ عـدَمِ التضييقِ علَى النَّاسِ بالجُلوسِ فِي صحْنِ الكعْبَةِ.

ثمّ اشرَبْ من ماءِ زمزَمَ متأسِيًا برسولِ اللهِ -صلَّى اللهُ عليهِ وسـلَّمَ- الذِي كَانَ يَشـرِبُ منْهُ بعدَمَا ينتهَي مِنْ طَوَافِهِ، واستَحَبَّ الفُقَهَاءُ ذلكِ.

ثمّ اقصِدِ الصَفَا للسـعْيِ بينَهُ وبيـنَ المروَةِ بقلبٍ حاضِرٍ، وفؤادٍ شـاكِرٍ، واسْـتَحضِر وأنت في طريقِكَ

للصفَا أنَّكَ ستُؤدِّي عبَادَةً عظيمَةً، وشعيرَةً ذاتَ قدْرٍ رفيعٍ، يكفِي مِنْ شرفِهَا أنّ اللهَ أنزَلَ فيهَا قرآنًا يُتلَى إلى يومِ القِيَامَة، يقولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾

[البقرة: آية ١٥٨]

وقالَ رسولُ اللهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ -مبيّنًا وجوبَهُ وفضْلَهُ-: «اسْعَوْا؛ فإنَّ اللهَ كتب عليكم السَّعيَ» رواه أحمد وابنُ خزيمةِ.

واجتهد أن تُطبّق ما جاءَ فيهِ من سُنَن، وقد كانَتْ سُنّةُ نبيكَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهِ: أنَّهُ إذَا أقبَلَ علَى الصفَا قَرَأَ قولَ اللهِ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ

ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ [البقرة: آية ١٥٨] وقال: «أبدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ»

واللهُ بَدَأَ الآيَةَ بالصَّفَا، فامْتَثَلَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمْرَ ربِه، وقدَّمَ ما قدَّمَهُ بِبَدْءِ السَّعيِ بالصَّفا على المروَةِ في الحَجِّ والعُمْرَةِ.

فإذَا مَا صَعَدْتَ على الصفا، فاستقبِلِ الكعبَةَ رافِعًا يديكَ على هيئةِ الدعَاءِ، وقلْ: (اللهُ أكبَرُ، اللهُ أكبَرُ، اللهُ أكبَرُ، لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحْدَه لا شريكَ له، له المُلْك وله الحَمْدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٍ، لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه، أنجَزَ وَعْدَه، ونصَرَ عَبْدَه، وهَزَمَ الأحزابَ وَحْدَه)

واسْتَحضِر وأنتَ في هـذَا المقَامِ يـومَ صعَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِـي بدايَةِ دعوتِهِ وليـسَ مَعَهُ إلا نفرٌ قليلٌ منَ السـابقِينَ للإسلامِ، فنَادَى قريشًا فاجتمَعُوا، فقَالَ لَهُمْ -مقرّرًا صِدقَهُ فيهِمْ-: (يا بنِي عبدِ المُطَّلبِ، يا بني فِهْرٍ، يا بني عبدِ مَنافٍ، يا بني عَدِيٍّ، أرأَيْتُم لو أخبَرْتُكم أنَّ خَيلًا بسَـفحِ هذا الجبلِ تُريـدُ أنْ تُغيرَ عليكم أكُنْتُم مُصَدِّقِـيَّ؟ قالوا: نَعم؛ مَا جَرّبْنَا عَلَيْكَ إلا صِدْقًا، قال: فإنِّـي ﴿نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ فـردَّ عليـهِ أبـو لَهب: تَبًّا لَكَ سائرَ اليومِ الِهذا دَعَوْتَنا) أخرجَهُ البُخَارِيُّ.

وانفَضُّـوا مِـنْ حولِـهِ -وهُوَ الشـفِيقُ عليهِـمْ مِنَ العَذَابِ- فنزَلَ حزينًا على حالِهِمْ، وانصرافِهِمْ عنهُ، وإعراضِهِمْ وإصرارِهِمْ علَى كفْرِهِمْ.

واليـومَ، نعَـمْ اليـومَ، يصعَـدُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علَى الصَّفَـا، وبيـنَ يديهِ أكثرُ مِـنْ مئةِ ألـفِ موحِّدٍ مؤمنٍ بـالله، فيُكبّـرُ اللهَ تعظيمًا لَهُ، ذَلِكَ أنّـهُ أنجزَ لَهُ وعدَهُ، وأعَزَّ جندَهُ، وهزَمَ الأحزَابَ وحدَهِ.

يُكبّـرُهُ بعدَ هذهِ السـنَوَاتِ التِي عانَـى فيهَا، فيرَى صدْقَ اللهِ لَهُ بنصرِهِ، وكبْتِ أعدائِهِ وهزيمتِهِم، يُكبِّرُهُ شُـكرًا وذِكْرًا له، واقرارًا بفضْلِهِ، فاللهُ هو ذو الفضلِ والإحْسَانِ الكبيرِ، وهو الشاكِرُ العليمِ.

ويُهلِّـلُ بكلمةِ التوحيـدِ اعترافًا بوحدانيتِـهِ، وأنَّهُ هُوَ الإلَهُ الحقُ المبين، ومَا سـواهُ آلهةٌ باطلةٌ واضِحَةُ البطلانِ.

وأنتَ اليوم تُكبّر وتُهلّل وتشْـهَدُ شهادَةَ التوحيدِ، ومئَـاتُ الآلافِ مَعَكَ يُكبِّـرُونَ ويُهلِّلُونَ ويوحِّدُونَ رَبَّهُمْ.

ألا مَـا أعظَمَ هـذا الدِّينَ! وَصِدْقَ وعـدُ اللهِ الذِي أظهـرَه علَـى الأديَـانِ كلِّهَـا، وَصِـدْقَ نبـوةَ محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذِي بلَّغَ رسالَتَهُ.

تذكَّرْ وأنتَ تسـعَى بينَ الصفَا والمروَةِ والنَّاسُ مـدَّ البصَرِ بينَ يديكَ، وكيفَ كانَ المسـلمُونَ قِلةً، خائفينَ وجلِين، واليومَ يصِلُ الإسـلامُ إلَى أقاصِي الأرضِ، وَيَمْـلأُ مَابيْـنَ الخَافِقَيْن، وَمَا مِـنْ بَلَدٍ إلا وقَـدْ أتَى منهَا مسـلِمون يطوفُون ويسْـعَوْنَ في هَذا المَكَانِ.

فاسْتَحضِرْ هذه المعَانِي وأنتَ تقولُ هذَا الذكرَ ليكونَ ذِكْرًا بحضُورِ قلْبِ عبدٍ مؤمنٍ يفقَهُ ما يقولُ.

(والسُّنّةُ أنْ تقولَ هذَا الذكرَ -وهوَ التكبيرُ والتهلِيلُ- ثمّ تدعُو، ثم تُعيدُ الذكرَ وتدعُوَ، ثمَّ تُعيدُ الذِّكْرَ وتدعو، تفعَلُ ذلك ثلاثًا). [وهُو اختيارُ الشيخُ ابنُ باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: انظُر فتاوى نورٌ على الدرب]

والدعاءُ في هذا الموطِنِ منْ مواطِنِ الإجابَةِ، وساعَةٌ مِنْ ساعَاتِ العطَاءِ الربَّانِيِّ للسائِلِينَ، فاللهُ خَتَمَ آيَةَ السعْيِ بينَ الصفَا والمروَةِ بقولِهِ تعَالَى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ وفي هذا إشارَةٌ إلى الإثَابَةِ على العَمَلِ، والإجابَةِ للدعَاءِ، **فإنَّ معنَى الشَّاكِرِ: الذي يجزِي علَى الحَسَنَاتِ إحْسانًا كثِيرًا، ويُضاعفُ في**

العَطَـاءِ والثـوابِ، فيُثيبُ عبدَهُ الناسِـكَ، ويُكرِمُ وليَّهُ التَّقِيَّ.

واجتهِـدْ أن تكـونَ حاضِرَ القلـبِ فيـهِ، فالدُّعَاءُ جامِـعٌ للخيـرِ كلِّـهِ، وهـوَ مِنْ أعظَـمِ أسـبَابِ زيادَةِ الإيمَانِ، والحيَاةُ معَهُ من أنفَعِ الأمورِ للقَلْبِ.

وقـدْ وردتْ دعَـواتٌ ثابِتَةٌ فِي هـذَا الموطِنِ عَنْ صحَابَـةِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمِمَّـا وَرَدَ عنهُمْ مَا رَواهُ نَافِعٌ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ سَـمِعَ عَبْدَ اللهِ بْـنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ عَلَى الصَّفَا يَدْعُو، وَيَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وَإِنَّـكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ، وَإِنِّي أَسْـأَلُكَ كَمَا هَدَيْتَنِي إِلَى الإِسْـلاَمِ أَلاَ تَنْزِعَهُ مِنِّي حَتَّى تَتَوَفَّانِي وَأَنَا مُسْلِمٌ) رواه مالكٌ.

ونُقِلَ عنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كانَ يدعُو بهَذِهِ الدعوَاتِ علَى الصَّفَا: (اللَّهُمَّ اعْصِمْنَا بِدِينِكَ، وَطَوَاعِيَتِكَ، وَطَوَاعِيَةِ رَسُولِكَ، وَجَنِّبْنَا حُدُودَكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا نُحِبُّكَ، وَنُحِبُّ مَلَائِكَتَكَ، وَأَنْبِيَاءَكَ، وَرُسُلَكَ، وَنُحِبُّ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ، اللَّهُمَّ حَبِّبْنَا إِلَيْكَ وَإِلَى مَلَائِكَتِكَ، وَإِلَى أَنْبِيَائِكَ، وَرُسُلِكَ، وَإِلَى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، اللَّهُمَّ يَسِّرْنَا لِلْيُسْرَى، وَجَنِّبْنَا الْعُسْرَى، وَاغْفِرْ لَنَا فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَئِمَّةِ الْمُتَّقِينَ) أخرجه البيهقي بسند حسنٍ.

ومن دعواته أنّه كان يقول: (اللَّهُمَّ أَحْيِنِي عَلَى سُنَّةِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَوَفَّنِي عَلَى مِلَّتِهِ، وَأَعِذْنِي مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ) رواه البيهقي في سننه بسند صحيح.

واحْفظ ما استطعتَ من أدعيَةِ القرآنِ والسُنَّةِ وادعُ بها، فَهِيَ أجمَعُ الأدعِيَةِ وأنفَعُهَا، وادْعُ بِمَا شئْتَ مِنْ حوائِجِكَ الدنيويَةِ، وكرّرْ دعواتِكَ، وكنْ حاضِرَ القلبِ فيهَا، مُحسِنًا الظنّ بربِّكَ وأنَّهُ سيُجيبها، ويدفَعُ عنكَ بِهَا شرورًا كثيرةً، ويدّخِرُهَا لك ليومِ الحِسَابِ، ففضْلُ اللهِ واسِعٌ علَى عبدِهِ الطائِعِ.

وأطلِ المقَامَ عندَ دعائِكَ، فقد نُقِلَ عَنِ السلَفِ أنَّهُمْ كانوا يُطيلونَ الوقوفَ للدعَاءِ فِي هذا المَوْطِنِ.

وأعرِفُ مِنَ الصالِحِينَ مِنْ أهلِ زمانِنَا مَنْ يبقَى ربَّمَا النصفَ ساعَةٍ واقفًا يدعُو مَعَ كُلِّ شوطٍ، وقَدْ فَتَحَ اللهُ لهُ مِنْ أبوابِ الخيرِ مَا لَمْ يفتَحْهُ علَى غيرِهِ.

ولئِنْ كانَ الواحِدُ منّـا ربَّمَا يصعُبُ عليهِ الوقوفُ مَعَ كلِّ شـوطٍ هذَا الوقْتَ، فَلَا أقلَّ مِنَ الإطَالَةِ -ولَوْ بَعْضَ الوقْتِ، أو بعضَ الأشواطِ-.

ومِنَ المَظَاهِرِ الطيبَةِ مَا نَرَاهُ اليومَ مِنْ كثرَةِ الدّاعِينَ علَـى الصَّفَا والمروَةِ ممَّا لَمْ يكُـنْ معْهُودًا في الزمانِ المَاضِي القريبِ، وكلُّ ذلِكَ بسـبَبِ نشـرِ السُنَنِ بينَ عامَّةِ المسلمينِ.

فإذا ما نزلتَ تسعَى بينَ الصَّفَا والمروَةِ، فكن ذاكرًا لربك، مُعظِّمَهُ بقلبِكَ، منصَرِفًـا بِفِكْرِكَ لهَذِهِ العبادَةِ، دَاعِيًـا بخيْـرَيِ الدنيا والآخِرَة، فمنْ دعـاءِ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسـعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سـعْيِهِ بينَ الصفَا والمـروَةِ: (رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ) أخرجَهُ ابْنُ أَبِي شيبَةِ.

(ولا يكـنْ همُّـكَ متَـى أنتَهِي؟ بلْ ليكُـنْ همُّكَ كيـفَ يقبَـلُ اللهُ منّي، وأنتفعُ بهَذَا السـعْيِ، ويصلُحُ قلبِـي، ويزدَادُ إيمَانِي بهـذِهِ العبَادَةِ، فالسـعْيُ عبادَةٌ جليلَةٌ لهَا أثَرُهَا علَى النفُوسِ المُؤْمِنَةِ).

واستحضِرْ سعيَ أمِّ إسماعيلَ وَهِيَ مفْتَقِرَةٌ لربِّهَا، تطلُـبُ الغَـوْثَ والفرجَ منهُ، قـدْ علَّقَـتْ قلبَهَا بربِّها وحْدَهُ دونَ سواه.

فاسـعَ مُفْتَقِرًا لربِك، طالبًـا لمرضاته، مجتهدًا أنْ يقبَلَ منـكَ، ويغفِرَ لَـكَ، ويعْفُوَ عنـكَ، ويُحقّقَ لكَ المَطَالِـبَ، ويُرزُقَـكَ الخيـراتِ الواسِـعَةَ، والأماني التِي تعلَّقَتْ بهَا نفسُك.

والسُنّةُ أن تكونَ مَاشْيًا بينَ الصَفَا والمروةِ، وتسعى سعيًا شديدًا بين العَلَمين الأخْضَرِيْن كما كانَ نبِيُّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعلُ، فقدْ روَى الإمامُ أحمَدُ عَنْ أبي محيصِنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطُوفُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَالنَّاسُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ وَرَاءَهُمْ، وَهُوَ يَسْعَى حَتَّى أَرَى رُكْبَتَيْهِ مِنْ شِدَّةِ السَّعْيِ يَدُورُ بِهِ إِزَارُهُ) وسنده حسنٌ [وفي روايةٍ] قالَ: (ولقد رأيتُهُ من شدَّةِ السَّعيِ يدورُ الإزارُ حولَ بطنِهِ وفخذَيهِ حتَّى رأيتُ بياضَ فخذَيهِ)

يسعَى هَذَا السعْيَ وهُوَ فِي الستِينَ من عمُرِهِ، فصلَواتُ ربِّنَا وسلامُهُ عليهِ.

وَيفعَلُ ذلِكَ تعظِيمًا لأمْرِ اللهِ، وتأسِّيًا بالصَالِحِينَ مِنْ عبادِهِ، فقدْ كانَتْ أمُّ إسماعيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تسعَى هكذا؛ فاسْلك سبيلَهُ، وكنْ على طريقَتِهِ في عبادَاتِكَ كلِّها، وذلِكَ بحُسْنِ التأَسِّي بِهِ، وكمَالِ الاتِّبَاعِ لَهُ، تفُزْ بالأجرِ كامِلًا، وتنتفعْ بِهِ أيّمَا انْتِفَاعٍ.

فإذَا مَا رَقَيْتَ فوقَ المروَةِ، فافعَلْ كمَا فعلْتَ على الصفَا دونَ تلاوةِ الآيَةِ، فالآيةُ لا تُقالُ إلا فِي الشوطِ الأوّلِ فَقَط، وإنّمَا استقبَلِ القبْلَةَ وكبِّرْ وهلِّلْ وادعُ ربَّكَ، افعَلْ ذلك ثلاثًا (كبّر وهلّل ثمّ ادْعُ، ثمّ كبّر وهلّل وادْعُ، ثمّ كبّر وهلّل وادْعُ) وأطلْ كذلِكَ في الدعَاءِ علَى المروَةِ، فهوَ -كمَا تَقَدَّمَ- مِنْ مَواطِنِ الإجَابَةِ.

وإنْ أصابَتْكَ مشَـقَّةٌ أوأدرَكَكَ تعبٌ فلا تتضَجّر، فأنـتَ في عبادَةٍ قد خصّكَ اللهُ بِهَـا من بينِ العالَمِين، وسـهَّلَهَا عليكَ، فملايينُ مِنَ المسلمِينَ يودُّونَ أنَّهُمْ فِي المَكَانِ الذِي أنْتَ فيهِ، ويوفَّقُونَ لِمَا وُفِّقْتَ إليهِ.

فـإذا مـا انتهَيْتَ مـن السـعيِ، فاقصِـدِ الحلَّاقَ، واحلِقْ شـعرَ رأسِـكَ، وإنْ قَصَّرْتَ فلا بَأْسَ، ولكنْ فَاتَكَ الأفضَلُ والأكْمَلُ.

وهكذا تكونُ عمْرَتُك قدْ تمَّتْ لتفرَحَ معَهَا نفسُك التي اسـتجابَتْ لربِّهَـا، وطمِعَتْ في فضلِـهِ، وترجُو ثوابَهُ، ليُكرِمَهَا اللهُ، وهوَ الكريمُ الجَوَادُ.

فإذا ما انتهيتَ مِنَ الحِلاقَةِ أو التقصِيرِ، احتسِـبْ أنَّكَ خرجْتَ مِنْ ذنوبِكَ كيوْمِ ولدتْكَ أمُّكَ - حُسْن ظنٍ باللهِ-.

ولْيمتلـئْ قلبُكَ شـكرًا لِلَّـهِ، ولْيُكثِرِ اللسـانُ مِنَ الحمْـدِ والثنَـاءِ علَى هـذَا التوفِيقِ، واسـأَلْهُ القبولَ، وأحسِنِ الظنَّ بِهِ، فإنّ هذه العبادَاتِ القلبيةَ لهَا أثَرُهَا علَـى العبدِ، وهِـيَ بمكانٍ عنـدَ اللهِ -تعَالَـى-، فاللهُ يُحبُّ الثناءَ مِنْ عبادِهِ، ويُحبُّ الشاكرينَ.

وتأمّـل في هـذه الأعـدَادِ الهائِلَـةِ التي تـؤُمُّ البيتَ والمسعَى فِي كلِّ وقتٍ وآنٍ، والذِي لا يكادُ ينقطِعُ فِيهِ الطوافُ والسـعيُ فِي أيِّ ساعَةٍ مِنْ ليلٍ أو نهَارٍ لتوقِنَ بربٍّ عظِيمٍ قديرٍ، محيطٍ بالعبَادِ، كثيرِ العَطَاءِ لهُمْ.

إنَّ التفكُّـرَ في عظمَةِ اللهِ، وقدْ أحـاطَ عِلمًا بهؤُلَاءِ العُبَّـادِ، وتفضّـلَ عليهِمْ بإجابَـةِ الدعـواتِ، وقبولِ الأعمالِ، ليُوجِبُ تعظيمَهُ وإجلالَهُ، وشـكرَهُ وَالثنَاء

عَليه، فسبحانَ المحيطِ بالنيّاتِ، المُذعنَةِ إليهِ النفوسُ، المُخبتةِ إليه الأفئدة، الفقيرةِ إليهِ وإلَى فضلِهِ ورحمَتِهِ وعفوِهِ وإحسَانِهِ.

أيّها المعتَمِرُ المُوَفَّقُ/

إنّ العنايَةَ بأدَاءِ العُمرَةِ علَى أكملِ وجهٍ دليلُ إيمَانِ صاحِبِهَا، وبرهانُ تعظيمِهِ لأمرِ اللهِ، فمَعَ كثرَةِ المعتمرينَ فِي هذه الأزمِنَةِ التِي لمْ يسبِقْ لهَا مثيلٌ إلا أنَّهُ ينبغِي التذكِيرُ -كمَا تقدَّمَ- بأهميَّةِ الأدَاءِ الأكمَلِ لهَا، فهِيَ شعيرَةٌ تعبّديَّةٌ، شأنُهَا شَأنَ شعَائِرِ الإسلَامِ، والتِي تعظيمُهَا مِنْ تعظِيمِ اللهِ، ومِنْ دَلَائِلِ تَقْوَى القلوبِ، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ [الحج: آية ٣٢]

وهـذه العبـادَةُ اليسـيرَةُ التِـي جَعَـلَ اللهُ لهَـا هَذَا الأجْـرَ العظيمَ لجديـرَةٌ بالتَّأَمُّـلِ والتَّفَكُّـرِ والاتقانِ والاحتِسَابِ.

فاللهُـمَّ اجعلنَا ممَّنْ يُعظِّـمُ شـعائِرَكَ، وتقبَّلْ منَّا صالِحَ أعمَالِنَا يَا أرحَمَ الراحِمِينَ.

❋❋❋

عباداتٌ مُتْصلةٌ بالعمرة

العُمرَةُ فرصـةٌ للإكثار من العبـاداتِ -خصوصًا عبادتـي الصلاةِ والطـوَافِ- فالصلاةُ في مكـةَ ثوابُهَا -كمَا هُوَ معلومٌ- مئةُ ألفِ صلاةٍ، فصلاةُ فرائِضِ يومٍ واحدٍ فقطْ في مكَّةَ تعْدِلُ صلاتَكَ في بلَدِكَ مئتينِ وسبعًا وسبْعينَ سنَةً، فكيفَ باليومَيْنِ والثَلاث!؟

وصلاةُ النَّافِلَةِ فِي مَكَّةَ -على الصحيحِ مِنْ أقوالِ أهـلِ العلمِ- بمئَةِ ألفِ صلاةٍ، قالَ النوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرحِ مسـلم» : (وَاعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبنَا أَنَّهُ لَا يَخْتَصّ هَذَا التَّفْضِيـلُ بِالصَّلَاةِ فِـي هَذَيْنِ الْمَسْـجِدَيْنِ بِالْفَرِيضَةِ، بَـلْ يَعُـمّ الْفَـرْض وَالنَّفْـل جَمِيعًـا، وَبِهِ قَـالَ مُطَرِّفُ

مِنْ أَصْحَاب مَالك، وَقَالَ الطَّحَاوِيّ: يَخْتَصّ بِالْفَرْض، وَهَذَا مُخَالِفٌ إِطْلَاقَ هَذِهِ الْأَحَادِيث الصَّحِيحَة، وَاَللَّه أَعْلَم) انتهى .

بل حتى صلاة الجنازةِ لعلَّهَا داخِلَةٌ فِي هذِهِ المضَاعَفَةِ، فقَدْ سُئِلَ الشيخُ ابنُ عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هلْ صلاةُ الجنَازَةِ في الحَرَمِ المَكِّيِّ تُضَاعَفُ مثلَ بقيةِ الصلوَاتِ فِي أجرِ القيراط؟

فأجَابَ : (هذا فيه خلافٌ بينَ العلمَاءِ، فبعضُ العلمَاءِ يقولُ: الذي يُضاعَفُ في المسجِدِ الحرَامِ هُوَ الصلوَات الخمْسُ فقط وغيرُهَا لا يُضَاعَفُ، والذي يظهَرُ مِنَ الحديثِ العمُومُ، وتكونُ الصلاةُ عَلَى الجنَازَةِ داخِلَةً فِي العمومِ تُضاعَفُ في المسجِدِ الحرَامِ. واللهُ أعلَمُ) انتهى من «لقاء الباب المفتوح» (١١٦/ ١١).

فَعَلَى مَنْ قَصَدَ مَكَّـةَ أَنْ يُكْثِرَ مِنْ (عبادَتَي الصلَاةِ والطَّوَافِ)

فالطـوافُ -كمَا هُـوَ معلومٌ- لا يكـونُ إلا حولَ الكعبَةِ، فمِنَ الفقْهِ الإكثَـارُ منْ عبادَةٍ لا يمكِنُ فعلُهَا إلا فِي مكَانٍ واحِدٍ فقـط، والصَّلَاةُ قد تَقَدَّمَ فضلهَا، فلذا كانَ شأنُ الموفَّقِينَ الإكثَارُ من هاتَيْنِ العبادَتَيْنِ، وتنقـلُ لنا كتُبُ السـيَرِ كيفَ كان حالُهُـمْ، (فقَدْ وَرَدَ أَنَّ ابـنَ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ جـاوَرَ زمنًا فِي مَكَّـةَ، فكانَ أهلُ مكَّةَ يتعجَّبُونَ مِـن كثْرَةِ طوافِهِ، وكثرَةِ صلاتِهِ وطولِهَا وخشـوعِهَا) وعلَى هذا النهْجِ سـارَ الأخيَارُ منْ قبلِهِ ومِـنْ بعْدِهِ إلـى زمَانِنَا هذا، فلَمْ يـزَلِ الصالحونَ إذا قدِمـوا مَكَّـةَ انشـغَلُوا بعبَادَتَـي الطـوافِ والصـلاةِ لتميّزِهِمَا فِي الفضْلِ والمَكَانِ.

وعبادَةُ الصلاةِ مِنْ أحسَـنِ القُرُبَاتِ، فَهِيَ عبادَةٌ قَدْ جَمَعَتْ عبادَاتٍ كثيرَةً من القِيَامِ والرُكُوعِ والسـجُودِ، وفيهَـا عبادَةَ تلاوَةِ القرآنِ والقيـامِ به، والذكرِ والدعاءِ وصـدقِ المناجَاةِ، فمَنْ أدَّاهَـا بقَلْبٍ حاضِرٍ انتفَعَ بِهَا انتِفَاعًـا كبيرًا، وفِعْلُها في هذا المكان زيادَةٌ في الأجرِ، وتبقَى ذُخْرًا لصاحِبِها، وحسـنَاتٍ باقيَاتٍ تنفَعُهُ يومَ تُنصَبُ الموازينُ.

والموفَّـقُ حـالَ إقامَتِـهِ في مَكَّةَ يُكثِـرُ -أيضًا- من تـلاوةِ القرآنِ، وذكرِ اللهِ، والدعـاءِ، والصدقَةِ، والأمرِ بالمعـروفِ والنهي عَنِ المنكَرِ وغيرِهَا من الطاعاتِ، فالحَسَـنَةُ تعْظُمُ وتُضاعَفُ لفضِيلَةِ المكَانِ، وإذَا كانَ وقـتُ زمَانٍ فاضِلٍ كرمَضَانَ وعشـرِ ذي الحِجَّةِ ويومِ جُمُعَةٍ ضوعِفَتْ -أيضًا-.

قال الشيخ ابنُ بازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي مسألَةِ مضاعفَةِ الحَسَنَةِ والسيئَةِ فِي مكَّةَ: (الأدلةُ الشرعيةُ علَى أنَّ الحسناتِ تُضاعَفُ فِي الزمَانِ الفاضِلِ والمكَانِ الفَاضِلِ مثلَ: رمضَانَ وعشرِ ذي الحجَّةِ، والمكانُ الفاضِلُ: كالحرمينِ، فإنَّ الحسنَاتِ تضاعَفُ في مكةَ والمدينَةِ مضاعفَةً كبيرَةً...ولكنْ لَمْ يَرِدْ فيهَا حدٌّ محدودٌ إنما جاء الحدُّ والبيانُ في الصلاةِ، أما بقيةُ الأعمالِ كالصومِ والأذكارِ وقراءَةِ القرآنِ والصدقَاتِ، فلا أعْلَمُ فيهَا نصًّا ثابتًا يدلُّ على تضعيفٍ محدَّدٍ، وإنّمَا فيهَا فِي الجملَةِ ما يدُلُّ علَى مضاعَفَةِ الأجرِ وليسَ فيهَا حدٌّ محدودٍ.

أما السيئاتُ فالذي عليه المحققونَ من أهلِ العلم أنّها لا تضاعَفُ من جِهَةِ العددِ، ولكن تضاعفُ من جهةِ الكيفيَّةِ، أما العدد فلا... فسيئةٌ في مكةَ أعظمُ وأكبرُ وأشدّ إثمًا من سيئةٍ في جدَّةَ والطائِفِ مثلًا، وسيئةٌ في رمضانَ وسيئةٌ في عشر ذي الحجةِ أشدُّ وأعظمُ من سيئةٍ في رَجَبَ أو شعبانَ ونحوِ ذلكِ.

فهي تضاعفُ من جهة الكيفيَّةِ لا من جهةِ العددِ، أمَّا الحسنَاتُ فهي تضاعَفُ كيفيةً وعددًا بفضلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ) مختصرًا مِنْ (مجموعِ فتاوَى ومقالاتِ الشيخِ ابنِ بازٍ ٣/ ٣٨٨).

* العُمرةُ فرصـةٌ لحضورِ مجالِـسِ الذكرِ والعلمِ والفوزِ بأجرِهَا وثوابِهَا.

فالحرمُ -ولله الحمدُ- مليءٌ بمجَالِسِ العلمِ، فلوْ جلسَ المرْءُ فِي مجالسِـهِ فَـازَ بأجر تلك المجالسِ، بلْ لوْ جَلَسَ دقائِقَ معدودَةً نالَ أجرَهُا -إن شـاءَ اللهُ، يَقـولُ النّبـيُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي فَضْلِ هـذهِ المجالسِ:

«وما اجتمع قومٌ في بَيتٍ من بُيوتِ اللهِ يَتْلُون كتابَ اللهِ ويتدارَسُونَه بينهم إلَّا نزلت عليهم السَّكينةُ، وغَشِيَتْهم الرَّحمةُ، وحفَّتْهم المَلائِكةُ، وذكَرَهم اللهُ فيمن عِندَه»

رواه مُسلِمٌ.

ولو بَقِيَ لآخرِ المجلسِ أو أتى نهايَتَهُ غَنِمَ الدعواتِ مِـنْ الملائكـةِ الكِـرام، يَقـولُ النّبـيُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«مـا من قومٍ اجتَمعوا يذْكُرونَ اللهَ لا يريدونَ بذلِكَ إلَّا وجْهَـهُ إلَّا ناداهُم منادٍ منَ السَّـماء: أن قوموا مغفورًا لَكم، قد بدِّلت سـيِّئاتُكم حسـناتٍ» رواه الطبراني في معجمـه الأوسـط، والإمـام أحمد في مسـنده، وأبو يعلى، والبزار، وحسّنه الألباني.

* العُمـرةُ والوصول إلى مكَّةَ، فرصةٌ لشـربِ ماءِ زمـزَمَ والتضلُّـعِ منْـهُ، (والتضلُّـعُ، هو: الإكثـارُ مِنْهُ، حتَّى يمتَلِئَ ما بينَ أضلاعِهِ) فالسُـنّةُ الشربُ منهُ لنيلِ برَكَتِهِ، فهُوَ مـاءٌ مباركٌ، فعنْ أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ النّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في ماءِ زمزمَ : «إنها مباركَةٌ إنها طعامُ طُعمٍ» رواه مسـلم، زاد الطيَالِسِـيُّ في روايةٍ لهُ بسـنَدٍ جيد: «وشفاءُ سُقمٍ».

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خيرُ ماءٍ على وجّهِ الأرضِ ماءُ زَمزم، فيهِ طعَامُ الطُّعمِ، وشفَاءُ السُّقْمِ» قالَ الذَّهَبِي رواهُ الطبَرَانِيُّ فِي الكبيرِ، ورواتُهُ ثِقَاتٌ، ورواه ابْنُ حبان في صحِيحِهِ.

ورُوِيَ عنِ ابْنِ عباسٍ: أَنَّهُ إِذَا شَرِبَ مِنْ مَاءِ زمزَمَ قالَ: (اللهمَّ إِنِّي أسألُكَ علمًا نافعًا، ورزقًا واسعًا، وشفاءً مِنْ كلِّ داء)

قالَ الإِمَامُ ابنُ قيمِ الجوزِيَة رَحِمَهُ اللَّهُ: (ماءُ زمزَمَ سيدُ المياهِ، وأشرفُهَا وأجلُّهَا قدْراً، وأغلَاها ثَمَنًا، وأنفَسُهَا عندَ النَّاسِ، وهُوَ هَزْمَة جبريلِ -أي: حفْرَهُ - وسقيَا اللهِ إسمَاعِيل).

وقالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد جربْتُ أنا وغيري من الاستشفَاءِ بماءِ زمزَمَ أموراً عجيبَةً واستشفَيْتُ بِهِ من عِدّةِ أمراضٍ فبرأتُ -بإذن الله- وشاهدتُ من يتغَذَّى بِهِ الأيامَ ذواتِ العدَدِ قريبًا مِنْ نصفِ الشهرِ أو أكثرَ، ولا يجدُ جوعًا ويطوفُ مع الناسِ كأحَدِهِمْ، وأخبرَنِي أنَّه ربَّمَا بقِيَ عليهِ أربعين يومًا وكانَ لهُ قوةٌ يجامِعُ بهَا أهلَهُ ويصومُ ويطوفُ مِراراً). زاد المعاد (٤: ٣١٨/ ٣١٩)

ولم يزلِ الأخيارُ من عبادِ اللهِ يشربُونَهُ بنيّةِ الخيرِ العامَّةِ والخاصّة، فقد شرِبَهُ كثيرٌ من أهلِ العلمِ بنيَّةِ العلمِ، فرُزِقوا هذا الفضل -والذي هو أشرفُ المطالِبِ- فاشْربهُ بنيةِ صلاحِ القلبِ، وصلاحِ الأهلِ والوَلَدِ، وزيادَةِ العلمِ، وسعَةِ الرزقِ،

والكفايَةِ من كلِّ همٍّ، وغيرها من النوايا الطيبَةِ، فعن جابـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رسـولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « ماءُ زَمزمَ لما شربَ لَهُ» رواه أحمدُ وابن ماجه، وإسناده حسنٍ.

قـال العلامـةُ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: (هو لما شُـربَ لَهُ، جعلَهُ الله تعالَى لإسماعيلَ وأمِّهِ هاجَرَ طعَامًا وشَرَابًا).

وقد عمِلَ السَّـلف والعلمَاءُ بهذَا الحديثِ، دخلَ ابنُ المبَارَكِ زمزمَ فقَالَ: (اللهمّ إنّ ابنَ المؤمّل حدثَنِي عـنِ أبِي الزبيـرِ عَنْ جابِرٍ أنّ رسـولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قـالَ: « ماءُ زَمزمَ لما شـربَ لَـهُ» فاللهم إنّي أشـرَبُهُ لعطَشِ يومِ القيَامَةِ» وابنُ أبِي المَوالِي ثِقَةٌ فالحديثُ حَسَنٌ)

فاغتنِمِ المجيءَ إلى مكةَ، واشرَبْ منهُ وتضَلَّعْ، وأكثرْ منَ النوايا الحسنَةِ عندَ شُرْبِهِ، فربُّكَ كريمٌ، وادْعُ بدعَواتٍ مبارَكَةٍ، فاللهُ واسِعُ الفضلِ، كثيرُ الإحسَانِ.

❋❋❋

العُمْرةُ وسيرُ القلوبِ

إنّ السيرَ إلَى اللهِ في حقيقتِهِ سيرُ القلْبِ، والرحلةُ إليهِ رحلَةُ الأرواحِ، وما بَلَغَ مَنْ بلغَ مِنَ الخيرِ، والقُربِ مِنَ اللهِ، والرفعَةِ عندَهُ إلا بأعمَالِ القلوبِ (مِنَ الإخلاصِ لَهُ، والخشيةِ منْهُ، ومحبَّتِهِ، وإجلالِهِ وتعظيمِهِ، ونحوِ ذلكَ مِنَ العبادَاتِ القلبيَّةِ) فلذَا كانَ لزامًا علَى مَنْ أرادَ الزُّلْفَى عِنْدَ ربِّهِ أَنْ يعتَنِيَ بشأْنِ هذِهِ العبَادَاتِ القلبِيَّةِ.

والعبادَاتُ لها صُورَةٌ وحقيقَةٌ، فصورَتُها الخارِجِيَّةُ ظاهِرَةٌ للجميعِ، ولكنَّ حقيقَتَها مِنَ الإخلاصِ والإخْبَاتِ والخشيَةِ والصدقِ ونحوِهَا،

هيَ ما يرضَاهُ اللهُ من عِبَادِهِ، قالَ اللهُ -تعَالَى-: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ﴾

[الحج: آية ٣٧]

وما في القلوبِ لا يعلَمُهُ إلا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَمَنْ أرادَ الخيرَ لنفسِهِ، فعليهِ العِنَايَةُ بهذَا الجانِبِ أثنَاءَ عبادَاتِهِ كلِّهَا، ومنهَا: عبَادَةُ العُمْرَةِ.

فإذا عزمتَ على هذه العبادةِ المبارَكَةِ، فاجْعلْ سيرَكَ بقلبِكَ قبلَ سيرِ البدنِ، واجعَلْ غايَتَكَ منْ هذه العبادَةِ رضى اللهِ عنكَ، والانتفاعَ بها، وذَوْقَ حلاوَتِهَا، ونيلَ ثمرَاتِها مِنَ الهِدَايَةِ والاستِقَامَةِ، وصلاحِ الحال.

ولا يستوي رجلانِ قَصَدَا مَكَّةَ:

الأوّلُ: لم يستحضِرْ معانيَ ومقاصدَ العمرَةِ، ولم يتعرّفْ علَى كثيرٍ مِنْ فضائِلِهَا ومنافِعِهَا، بلْ كانَتْ نيتُهُ نيْلَ الثوابِ مجرّدًا، فهذا مأجورٌ -ولاشكَّ- ولكنّهُ فاتَهُ شيءٌ كثيرٌ مِنَ الفضَائِلِ.

والثاني: من نَوى في عمرَتِهِ نيّاتٍ كثيرَةً، مِنَ الفوزِ بثوابِهَا، والاستجَابَةِ لأمرِ اللهِ وأمرِ رسولِهِ ﷺ فيهَا، وطَلَبِ صَلاحِ القَلْبِ، والإكثارِ مِنَ العباداتِ في مكَّةَ، ونيلِ ثمراتِ هذه الطاعَةِ الشريفَةِ، وكلُّ ذلك يعودُ -بعدَ فضلِ اللهِ وتوفيقِهِ لعبدِهِ- إلى فقْهِ مقاصِدِ الطاعَاتِ، والسيرِ إلَى اللهِ بالقلبِ لا بالبَدَنِ مجرّدًا، فاجتهِدْ بفقْهِ هذا الجانِبِ المُهِمِّ.

العُمرةُ طريقُ التوبَةِ

العُمْـرةُ مـن أسـبَابِ مغفـرَةِ الذنـوبِ، فالموفَّقُ هو الذي يجعلُها سـبيلًا للتوبَـةِ والإنابَةِ، والتخَلُّصِ مـنْ عُقدةِ الإصرارِ على الذنـب، -والله عليمٌ بذاتِ الصـدور-، فـإذا رأى مِنْ عبـدِهِ هذه النوايـا أعانَهُ، وسدَّدَهُ، ووفَّقَه.

أيّها المعتمرُ/

ستُقبلُ على مواطِنِ الرحَمَاتِ، ومنازلِ البركَاتِ، ومحلِّ الأُعطياتِ، وستطوفُ بعدَ سويعَاتٍ فِي مكانٍ طافَ فيهِ الأنبياءُ -عليهِمُ الصلاةُ السلامُ- والصحابةُ -رضوانُ اللهِ عليهِمْ- والصالحونَ مِنْ بعدِهِمْ.

وستخطو أقدامُكَ في مكانٍ خطا فيهِ صفوةُ الخلقِ، فاقدُرْ لهذه المواطنِ قدْرها، واحتسِبْ أنّك ستعودُ مِنْ عمرَتِكَ كيوم ولدتْكَ أمُّكَ، طاهرًا نقيًّا منَ الذنوبِ والخطايا، فبأيِّ قلبٍ ستعود؟

وكيفَ هي عزيمَتُكَ على سلوكِ طريقِ الاستِقَامَةِ، ولزومِ جادَةِ الإنَابَةِ، والإزديادِ منَ الخيرِ بَعْدَ هذه العبادَةِ المبارَكَةِ، وقَدْ طهَّرَكَ اللهُ مِنَ الآثامِ، وتبعاتِهَا وخطَرِهَا؟.

إنّ العمرَةَ فرصةٌ للتوبَةِ، أو علَى الأقَلِّ التخفُّفُ والتقلّلُ مِنَ المعَاصِي، والخوفُ منها، ومن تَبِعاتِهَا وآثَارِهَا، وعدَم الجرأَةِ عليهَا، والتَّسَاهُلُ فيهَا.

والبعـضُ لا ينظُرُ للعمْرَةِ عَلى أنَّهَا فرصَةٌ لصلاحِ ما بقِيَ مِـنَ العُمرِ، وللتزوُّدِ لِما بعدهَا مِنَ الخيراتِ، والباقيَاتِ الصالحَـاتِ، والتخَلُّصُ منَ المحَرَّمَاتِ، بَلْ يعتَبِرُهَا رحلةً كسائِرِ الرحَلَاتِ، بخلافِ الموفَّقِينَ مِنَ العِبَـادِ، فإنَّهُمْ -كما تقدَّمَ- يجعلونَ هذه الرحلَةَ رحلَـةَ التغييـرِ للأفضَلِ، فكمْ مِـنْ مُوفَّقٍ عـزَمَ علَى الاسـتقَامَةِ بعدَ عمرَتِهِ، وكمْ مِنْ مُؤدٍ لها على الوجهِ الكامِـلِ صـارَ حالُهُ بعدَ عمرَتِهِ أحسـنَ ممَّا كانَ قبلَهُ لأنَّهُ قدْ أتَى بعمرَةٍ وافِيَةِ الشروطِ والأركانِ والسُنَنِ، مستصحِبًا نيةَ التقرُّبِ للهِ فِي جميعِ مناسِكِهَا، ومُلازِمًا كثرَةَ الدعاءِ فيهَا، وصادِقَ الإنَابَةِ فِي المناجَاةِ، فوفقَهُ

اللهُ للخيرِ بعدَهَا، وَأعرفُ بعضَ الإخوةِ كانَ أداؤهم لعِبَـادَة الحَجِّ والَعُمْرَةِ هو نُقطـةُ التَحَولِ في حياتَهم، وبِدايةِ صَلَاحِهم واسْتِقَامتِهمِ.

❊❊❊

العُمرةُ وزيادَةُ الإيمَانِ

الموفَّـقُ مَن حرِصَ علَى فِعْلِ كلِّ سـببٍ لزيادة إيمانِهِ، واللهُ جعَلَ لزيادَتِهِ أسبابًا كثيرَةً، منْ أعظَمِهَا فعـلُ الطاعَـاتِ؛ والعُمْـرةُ طاعـةٌ مباركَـةٌ، فمَـنْ قَصَـدَ مكةَ للعمـرَةِ، فعليـهِ الحرْصُ علَـى جعلِهَا سـببًا لزيادَةِ إيمانِـهِ **وذلِكَ بإحسـانِهَا، وأدائِهَا علَى أكمَـلِ وجـهٍ، وعليـهِ أنْ يُكثِرَ مِـنَ العمَـلِ الصالِحِ فيهَـا، ويجتَهِـدَ أنْ تَسْـلَمَ مـنَ الخلـلِ، ويتحفَّـظَ ويتحـرَّزَ مِـنَ الذنـوبِ والخطايـا، ويحـرِصَ على حفْظِ الجـوارحِ** -خصوصًا: جارِحَـةَ البَصَرِ- فإنَّهُ يحصـلُ تفريـطٌ مِنْ بعـضِ النسـاءِ، وتسـاهُلٌ فِي

تغطِيَـةِ الوجْهِ -والذي هو مكْمَـنُ الزينَةِ والفتنَةِ-، والفتنـةُ بالمـرأَةِ عظيمَـةٌ، قـالَ النّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ علَى الرِّجالِ مِنَ النِّسـاءِ»

رواه البخاريُ ومسلمِ.

ولئن قصدتَ -يا عبدَ اللهِ- مكةَ لطلبِ الأجرِ، فاحرِصْ علَى السـلامَةِ مِنَ الإثْمِ، وغُضَّ البَصَرَ، واعلـمْ أنَّ هذا الأمرَ يحتـاجُ إلى صبرٍ ومجاهَدَةٍ، ولكـنَّ عاقبَةَ حفـظِ الجـوارِح حميدَةٌ، وسـيجِدُ معَهَـا المتَّقِـي حلاوَةَ الإيمَـانِ فِي قلبِـهِ، وتوفيقًا للطاعَاتِ.

وهنـا توجيـهٌ لأختِنَا المسـلمةِ الصالحـة: اعتني بحجابِـكِ، فقدْ أمرَكِ اللهُ بذَلِكَ، قـالَ اللهُ -تعالى-:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ [الأحزاب:٥٩]

وتغطِيَـةُ الوجْهِ واجبَـةٌ علَى الصحيحِ مـنْ أقوالِ أهلِ العِلْمِ.

ونحسـبُ أنّـكِ -أيّتهـا المؤمنَةُ- مـا جئتِ مكة إلا لطلَبِ الأجْرِ والثوَابِ، فلا تجعليهِ سـببًا لكَسْبِ الآثامِ.

❋❋❋

رحلَةُ العُمرَةِ مغايِرَةٌ عنْ سائِرِ الرّحَلاتِ

اعلـمْ -يـا رعـاكَ الله- أنَّ رحلـةَ العمـرَةِ رحلَـةٌ مغايِرَةٌ عنْ سـائِرِ الرحَلاتِ، فزمَانُـكَ فيهَا كلُّه زمانُ طاعَةٍ، وسـاعَاتُ ليلِكَ ونهارِكَ كلهـا في مرضاةِ اللهِ، وكلُّ عَمَلٍ فِي عمْرَتِكَ في ميزانِ حسـنَاتِكَ -إنْ شاءَ اللهُ تعالَى-، يُشـيرُ إلَى هَـذَا المعنَى حدِيثُ ابنِ عمرَ رضـي اللهُ عنهُمَـا قـالَ: سـمعتُ النبي ﷺ يقـول: «ما تَرْفَعُ إِبِلُ الحَاجِّ رِجْـلًا، ولا تضعُ يَدًا؛ إلا كَتَبَ اللهُ له بها حسَـنَةً، أو محا عنه سـيئةً، أو رفعَهُ بهَا درَجَةً» رواه البيهقي، وابنُ حبان في «صحيحه» وحسّنه الألباني.

والعُمرةُ هي الحجُّ الأصغرُ -كما تقدّم- معنا، وقد أشارَ إلى هذه المعاني أهلُ العلمِ -رحِمَهُمُ اللهُ-، فاحتَسِبْ وقتَكَ وأعمالَك بل حتَّى أنفاسَكَ منْ حينِ خروجِكَ مِنْ بيتِكَ حتَّى تعودَ.

واحتسِبْ نفقَتَكَ فيهَا، وأنَّهَا في سبيلِ اللهِ، فمَا خَرَجَ المؤمِنُ منْ بيتِهِ قاصِدًا مَكَّةَ -إنْ شاءَ اللهُ- إلا ابتغَاءَ مرضَاةِ ربه، فيُكافئه اللهُ على جميع أعمالِهِ فيهَا، ويجعلُهَا كلُّهَا -بكرَمِهِ وجودِهِ- فِي موازِينِ حسناتِهِ، فالاستجابةُ مِنْ أهلِ الإيمانِ في أدائِهَا يحفَظُهَا لهُمْ ربُّهُمْ، ويُثيبهُمْ عليها إيمانًا في قلوبهم، وبركةً في كل شؤونهم مِنَ الصحةِ فِي النفسِ والمَالِ

والولَـدِ والذريـةِ، والبَركـةَ في أوقاتِهـم وأعمارِهم، وهذَا مـا ينبغِي للعَابِدِ والناسِـكِ أنْ يفقَهَـهُ عِندَ كلِّ عبادة يتقرَّبُ بِهَا إليهِ.

وفي العُمـرةِ تحمَّـلِ المشـقَّةَ، ومفارَقَـةَ مواطِـنِ الراحَـةِ ابتغَاءَ مرضاةِ اللهِ، وهذهِ عندَ اللهِ بمكانٍ، فاللهُ يُحِبُّ مِنْ عبـدِهِ أن يُقدِّم محابَّه على محابِّ النفس، ويُؤثِـرَ مرضاتَـهَ علـى راحَتِهِ، ففـي حديثِ عائشَـةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قَالَتْ: قَالَ لهَا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لَكِ مِنَ الْأَجْرِ عَلَى قَدْرِ نَصَبِكِ وَنَفَقَتِكِ» رواه الحاكم وقـال صحيـحٌ على شـرط الشـيخين، وفي روايةٍ لهُ وصحَّحَها: «إنما أَجرُكِ في عُمرتِك على قدْرِ نفقتك».

فأحسنِ الظنّ بربِّكَ، وأنَّهُ سيُثيبُكَ على كلِّ عملٍ صالِحٍ تفعلُهُ فِي عمرَتِكَ.

❋❋❋

بينَ الإكثارِ منَ العُمْرةِ والزهدِ فيهَا

الحـرصُ على العُمرةِ من دلائِلِ الإيمانِ، وفِعْلُها بيـنَ الفينَةِ والأخرَى بُشْـرَى لصاحِبِهَا مِنَ الرحمَنِ، فالمُحِبُّ لهَذِهِ البقاعِ الطاهرَةِ قد وافَقَ اللهَ في محابِّه، وأسبَابِ مرضَاتِهِ.

واللهُ أمر بتطهِيرِ بيتِهِ لقاصديه والطائفينَ فيه، وفي هذا تشريفٌ لَهُمْ، والمعتَمِرُ أحَدُ هؤلاءِ القاصِدِينَ.

وكمْ تغبِطُ مَنْ لا يطولُ بعدُهُمْ عن مكَّةَ، فيعتمرون كثيرًا، طامعينَ بمَا جـاءَ في هذا الفضلِ مِنْ أجرٍ وأثَرٍ بقولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تابِعوا بينَ الحجِّ والعمرةِ، فإنَّهما ينفِيـانِ الفقرَ والذُّنوبَ، كما ينفي الْكيرُ خبثَ الحديدِ والذَّهبِ والفضَّةِ**» أخرجه النسائي.

ففيهِ الحَـثُّ على المتابعةِ بينَ الحَـجِّ والعُمرَةِ مَا استَطَاعَ العَبْدُ إِلَى ذلِكَ سبيلًا.

بخلافِ غيرِهِمْ ممَّنْ يهجُرُونَ العُمْرةَ زمنًا طويلًا مع تيسُّرِهَا لَهُمْ.

فالعُمْـرةُ عمـلٌ صالـح، والمؤمنُ حريـصٌ علَى الأعمالِ الصالِحَةِ التِي شـرَعَها اللهُ؛ استجَابَةً لأمرِهِ، وطمَعًا فِي نَيْلِ الأجورِ المترتّبَةِ عليهَا.

وبعضُ المسـلمينَ يُفرّط فيها بحجّة أنّها سُنّة، أو يعتـذرُ كثيرٌ منهُمْ بضيقِ الوقْتِ، أو يبخَلُ بمالِهِ الذِي سـينفِقُهُ في عمرتِـهِ، وبالمقابِـلِ تراهُ لا يـترُكُ فرصَةً إلا سـافَرَ للفُسْـحَةِ، وينفقُ في سـفراتِهِ تلِكْ أضعافَ أضعَافِ مَا سيُنفقُهُ فِي عمرَتِهِ.

ولئنْ كانَ سفرُهُ مباحًا، والعُمرةُ سُنّة إلا أنّ العُمرَ قصيرٌ، والزمانَ عزيزٌ، والحرصَ علَى الباقياتِ الصالِحَاتِ شأنُ المؤمِنِ الكيّسِ الفَطِنِ.

أمّا مَنْ لا يكَادُ يأتِي مَكَّةَ إلا نادرًا، أو ربمَا لَمْ يأتِهَا فِي حياتِهِ مَعَ قربِهِ منهَا فَهُوَ الحرمَانُ بعينِهِ (يُحدّثُنِي أحدُ الإخوةِ أنّهُ أتى مَعَ زميلٍ لهُ للعمرَةِ -وهمَا فِي الأربعينَ مِنَ العُمرِ- قالَ: ففوجئْتُ ببكاءِ زميلِي بكاءً عجيبًا حينَمَا رأى الكعْبَةَ، فتعجّبتُ مِنْ بكائِهِ، فقالَ لَهُ: لا تعجَبْ، هذه أوّلُ مرةٍ أدخُلُ الحَرَمَ فِي مَكَّةَ وأعتَمِرُ فِي حيَاتِي، مَعَ أنّهُ قريبٌ منهَا) ومثلُ هذا كثيرٌ ممّنْ تيسَّرَتْ لهُمْ الأسبَابُ، ولكنَّهُمْ فرَّطُوا فِي هذَا الفَضْلِ.

ويُقالُ لمنْ يُفرِّطُ فيهَا ويتكاسَلُ عنهَا -أيضًا:

استحْضِرْ أنَّ فِي العُمرَةِ عباداتٍ لا تُفْعَلُ إلا في مكانٍ واحِدٍ فِي الدنيا، فليسَ ثمّةَ تلبيةٌ إلا في الحجِّ والعمرَةِ، وليسَ هناكَ طوافٌ إلا حولَ الكعْبَةِ، وليسَ هناكَ سعيٌ إلا بينَ الصفَا والمروَةِ، وليسَ ثَمَّةَ حلقُ الرأسِ وتقصيرُهُ -عبادةً- إلا بَعْدَ نسُكِ الحجِّ والعمرةِ، فمَنْ فرَّطَ في العمرَةِ، حُرِمَ فضائِلَ هذهِ الأعمَالِ كلِّهَا.

وبالمقابِلِ مِنَ الأخيارِ مَنْ لا يكادُ ينقطِعُ عنِ العُمرةِ، وأعرفُ من يعتَمِرُ كلَّ شهرٍ، وبعضُهُمْ يُؤقِّتُ عمرَتَهُ معَ الأيّامِ البيضِ، فيعتَمِرُ ويصومُ الأيّامَ البيضَ فِي مكَّةَ كلَّ شهرٍ، بل ويُعينُ غيرَهُ علَى ذَلِكَ، فيكونُ مَعَهُ فِي هذِهِ الرحلَةِ الشهريَّةِ العشرَاتُ، وذلِكَ فضلٌ

مِنَ اللهِ، وتوفيقٌ لعبْدِهِ.

ولئنْ كانَتِ العمرَةُ الشـهريَّةُ تصعبُ على الكثيرِ، فالمقصودُ عدَمُ هجرانِ هذَهِ العبادَةِ زمنًا طويلًا، وَقَدْ تبيَّنَ لَكَ فضلُهَا، وكثرَةُ ثوابِهَا.

❋❋❋

وبعدُ/

فهذَا ما تَيَسَّرَ جمعُهُ وكتابَتُهُ ممَّا يتعلَّقُ بهذِهِ العبادَةِ العظيمَـةِ، فاللهُمَّ تقبَّلْ منَّا، واجعَـلْ فيمَا كُتِبَ النفْعَ والأَثَرَ، وأكرِمْنَا بالقبُولِ، وأنْتَ الجوادُ الكريمُ.

تمتِ المراجَعَةُ في مسجِدِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وبجوارِ روضَتِهِ الشريفَةِ ظهيرَةَ يومِ الأربِعَاءِ

٢٤ / ٢ / ١٤٤٦هـ

والحمْدُ للهِ الذِي بنعمَتِهِ تتَمُّ الصَّالِحَاتُ.

❋❋❋

الفهرس

- المقدمة ٥
- المقاصدُ الشرعِيّةُ للعِبَادَات ١٠
- مكةُ البلدُ الحرامُ، والذكرياتُ الخالدةُ ١٨
- فَضَائلُ العُمْرَةِ ٢٨
- عُمْرةٌ بقلبٍ حَاضِرٍ ٣٩
- عباداتٌ مُتْصلةٌ بالعمرة ٧٨
- العُمْرةُ وسيرُ القلوبِ ٩٠
- العُمرةُ طريقُ التوبَةِ ٩٣
- العُمرةُ وزيادَةُ الإيمَانِ ٩٧
- رحلَةُ العُمرَةِ مغايِرَةٌ عنْ سائِرِ الرّحَلاتِ ١٠٠
- بينَ الإكثارِ منَ العُمْرةِ والزهدِ فيهَا ١٠٤